شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (٨٧) ٢٠١٠/١/١٥

الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ و معهدُ الآثارِ



هزيمة منكرة للمدافعين عن آل سعود في مجلس اللوردات



ماذا بعد أن خسرت السعودية حرب اليمن؟



الصحويون يكتبون:
الشيخ العودة ودوره في الصحوة والعنف!



تركي الحمد وتسويق نموذج السعودية غير القابل للتصدير

وجوه حجازية



العريفي يجدد (طائفية) الدولة

السعودية القائدة تبحث عن مجد ضائع



صرخة احتجاج ضد تدمير الآثار بمكة

استنساخ النماذج: السعودية الباكستانية واليمن الأفغانية!



دبلوماسية محمومة تجرّ عربة التسوية البائسة

الحرب في المخيال الوهابي

هـذا الـعـدد

الدولة الخياليّة ١
السعودية القائدة.. تبحث عن مجد ضائع!! ٢
تحذير من تضخيم خطر القاعدة: الخوف من نموذج أفغانستان ـ باكستان ٤
نشاط دبلوماسي محموم.. السعودية تقود عربة التسوية الى ليبيا ٦
الصحويون يكتبون: الشيخ العودة ودوره في الصحوة والعنف! ٨
ماذا بعد.. وخسرت السعودية حرب اليمن ١٠
هزيمة منكرة للمدافعين عن آل سعود في مجلس اللوردات ١٢
أخبار ١٦
دسائس العقل الباطني.. الحرب في المخيال الوهابي ١٨
تركي الحمد يسوّقه: السعودية نموذج غير قابل للتصدير ٢١
صرخة احتجاج على تدميرها: الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة ٢٤
بندر الغائب الحاضر: (اليمامة) تطير الى أميركا ٣٠
أشراف الحجاز في الوثائق المصرية ٣١
الشيخ العريفي يجدد (طائفية) الدولة: التشهير سبيل للشهرة ٣٤
السعودية.. حلف السلطة مع علماء استحضار (الجنّ)! ٣٧
وجوه حجازية ٣٩
نحن على الحقّ.. لا بدّ وأن ننتصر! ٤٠

الدولة الخياليّة

تعجب أحياناً لماذا يبني الأمراء تصوّراتهم ومواقفهم السياسية على أساس (خيالات) و(أساطير)، وكيف يتحوّل ما يتوهمه الأمراء الى حقائق تحكم سلوكهم، وعلاقتهم مع الآخر. يرى بعض المقرّبين من العائلة المالكة بأن الخصومة مع الآخر هي المسؤولة عن فتح باب لتسرّب كل ما يعزّزها، سواء كان ما يتسرّب حقيقة أم زيف.. وقد أفاد كثُرمن يطمعون في الحصول على المال والشرهات من وجود هذه الخصومة، فيغذّونها بأوهام وقصص لو تمّ التأمل في محتوياتها خارج تأثير ضغوطات الخصومة، لسخر من يستمع إليها. فالخصومة هي المنظار التي يرى من خلالها الأمراء العالم من حولهم، ولذلك يصبح الريب مرشداً دائماً لمواقف الأمراء وسلوكهم، فكل ما يقال عن الخصم يغدو حقيقياً، ويبنى عليه. في مثل هذه الحال، لا يسع الملك أو أحد الأمراء الكبار سوى تصديق أن يكون هناك ثلاثة ملايين إيراني يحتشدون داخل العراق على الحدود الشمالية من المملكة، وكذلك وجود مليون إيراني في مدينة الزبير العراقية، أو حتى دخول أربعة ملايين إيراني من الحدود السورية الى العراق..وكل هذه القصص سمعها مسؤولون عراقيون وعرب من الملك عبد الله والأمير نايف وسبّبت ذهولاً لدى زوّار المملكة، وعادوا الى بلدانهم وهم بين مصدّقين ومكذّبين ما سمعوه من أفواه قادة دولة يفترض أن يكون لديهم الحد الأدنى من المعرفة بالحقائق السياسية والجغرافية عن الدول المجاورة.

ولا نعجب، والحال هذه، أن يكون تدخّل القوات السعودية في اليمن على أساس تقارير صادرة عن الرئيس علي عبد الله صالح، الذي أوهم السعوديين بأنهم يحاربون جيشاً إيرانياً في صعدة، وأن إيران باتت على مقربة من الرياض، وهي تحيط الجزيرة العربية من كل أطرافها، وأن لها أذرع في كل منافذ المنطقة، وهي من يدير غرف العمليات في العراق وفلسطين ولبنان واليمن وربما في مناطق الخليج برمتها. وليس مستبعداً أن يأتي يوم يعتقد فيه الأمراء بأن لإيران قواعد عسكرية في دول خليجية متخاصمة مع السعودية.

حين نعود الى الكتابات والخطب الدينية الوهابية منذ بدء التدخل العسكري السعودي في اليمن في بدايات نوفمبر من العام المنصرم، نعثر على نشاطية غير مسبوقة لفايروس البارانويا، الذي يجعل الأوهام حقائق، والهواجس وقائع، فيرى البعض منهم ما لايراه الشاهد والمراقب، لأنها أشياء لا تُرى في عالم الشهود، بل هي مجرد (خيالات) تصبح في لحظة اشتداد الخصومة حقائق غير قابلة للنكران. حين يطلق بعض القادة العسكريين بمن فيهم الجنرال خالد بن سلطان تصريحات من قبيل أنهم فرضوا سيطرة تامة على الحدود واسترجعوا المناطق الواقعة التي كانت تحت سيطرة الحوثيين، وقتلوا قادتهم، فإنهم لا يعتقدوا بأنهم يكذبون، تماماً كما لا يعتقد الشيخ الوهابي الذي يزور الجبهة ويعود وفي جعبته قصص أسطورية حول بسالة الجنود، واستشراسهم في مواجهة الأعداء (الحوثيين) بأنه يخبر كذباً، فهو في أحسن الأحوال يضع (الكذب) في خانة تكتيكات الحرب، ولكن ثمة حالة يعيشها السياسي والديني وفق ما يسمعه من الجنود، أو لربما أتقن الأخير فن ما يجب أن يقوله، فيخرج القائد العسكري ورجل الدين بانطباع وهمي بأن ثمة بطولات يعجز الإعلام المحلي والدولي عن تغطيتها، لعظم ما تحمله من دلالات ميسيائية. رغم أنك لا تسمع شيئاً من تلك القصص في البيانات العسكرية أو حتى التقارير الصحافية. هل لذلك صلة بالتعبئة العسكرية والإعلام الحربي؟ ربما، ولكن حين ينبري الشيخ العريفي ويردّد في خطبة صلاة الجمعة، التي هي جزء من الصلاة، ويحلف مراراً بأن ما شاهده هو عين الحقيقة، وما أصابه ليس سوى كبدها، هل يمكن بعد ذلك التفكير في ماهو إعلام حربي وماهو فارط في وهميته، وماهو حقيقي لا يصح تجاهله؟

وحين نفتح أفق الجدل على مجمل الأدبيات السياسية والدينية، نجد بأن ثمة أزمة عميقة مرتبطة بمصدرية المعلومات، فالذين يردّدون عبارة (نقل لي ممن أثق به)، و(قيل لي)، حين يتعلّق الأمر بخصوم سياسيين أو عقديين، ينشق أخدود واسع وعميق بين الحقيقة والوهم، وينفتح باب واسع أمام من يريد التكسّب أو التقرّب من السياسي أو الديني. ونقرأ في تراث الوهابية قصصاً منقولة بدون مصادر عن الخصوم، ويتم التعامل معها على أنها (مسلّمات)، وتشكّل أساس رؤية، وموقف، وسلوك، وما تلبث أن تندمج في الثقافة الشعبية لدى الجمهور المناصر.

الخصومة الجامحة أفقدت السياسي والديني التوازن في نظرتهما، ومواقفهما، وسلوكهما، ولعبت دوراً كارثياً في تشكيل وعي مشوّه، يفقد صاحبه القدرة على التعامل العقلاني مع الوقائع، والناس، والظواهر. ونشأ في ظل مناخ موارب مفتوح فضاء واسع تسبح فيه الأوهام والهواجس، ويتأهّب الواقعون تحت تأثيراته لخوض غمار معارك وهمية ضد خصوم وهميين. لا عجب إذاً أن ترى دولة تكتنز كل فرص الإنفتاح واستيعاب علوم الأرض وقادتها يستمدون من الأوهام التي يصنعها أصحاب الأهواء والشهوات معارفهم.

والأعجب من ذلك كله، كيف يمكن لدولة تزعم بأنها وطن يحتضن أطيافاً متنوعة وهي تقسّمهم إلى مسلمين ومشركين، وموالين وعملاء، وحلفاء وخصوم، كل ذلك لأن مصّنعي الأوهام جعلوا الأراجيف حائلاً أمام رؤية الواقع كما هو دون رتوش وتشوّهات. وإذا ما واصلت عقلية (الخيالات) في شحن الشارع، فإنها تمارس دور مفرمة لبذور الوطن المأمول.

السعودية القائدة.. تبحث عن مجد ضائع!!

خالد شبكشي

لايزال الإعلام السعودي يصف السعودية كقائدة للعالمين العربي والإسلامي. ولازال بعض الأمراء السعوديين يعيشون أحلام العظمة القديمة، من أنهم وحدهم من يمثل جميع العرب والمسلمين وقضاياهم. كما أنهم من يمثل الإسلام الصحيح بالنيابة عن كل المسلمين، وهم من يجب أن يتحدث معه بشأن القضايا الكبرى التي تخص العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي عامة والعربي خاصة.

السعودية القائدة، لا تقود أحداً على الأرض. هي غائبة عن مسارات القضايا الكبرى التي عصفت بالعالمين العربي والإسلامي منذ عقدين على الأقل.

والسعودية القائدة، تتراجع مكانتها حتى في نشرات الأخبار منذ زمن. وهي تقود نفسها من خسارة الى أخرى في سلسلة متواصلة من الفشل لم تنته بعد، وآخرها الفشل الذريع والمزدوج في حربها على اليمن (عسكرياً، وسياسياً، وإعلامياً، وأمنياً، وأخلاقياً، ودينياً).

والسعودية القائدة، لم تحلّ مشكلة عربية واحدة، بل أن مساهمتها في حل المشاكل العربية والإسلامية تكاد تكون صفراً، إن لم تكن الصفر بعينه. بل ظهرت بمظهر المسبب للفتن، أكثر من كونها حلالاً للمشاكل.

السعودية ليست نموذجاً يحتذى، ولا قيادة صالحة ترتجى.

لم تقدّم للعالمين العربي والإسلامي نموذج الدولة الحديثة، ولا نموذج نظام الحكم الحرّ والمنفتح والمتعدد، ولا قدّمت نموذجاً للدولة الطليعية المبادرة لحل مشاكل من تزعم قيادتهم بحيث يصبح لها رصيد إقليمي معتبر وفاعل.. ولا السعودية قدّمت نموذجاً صحيحاً للبلد النامي المتطلع للإكتفاء الذاتي، بل هي بلد يرمز اليه بالفساد، ويعشعش في ربوعه الفقر والفاقة. وفوق هذا لم تقدم السعودية نموذجها الديني المغري، بل أن نموذجها الوهابي صار مخيفاً بسبب انغلاقه وعنفه ونزعته التكفيرية.

والسؤال كيف يمكن لدولة هذه مواصفاتها أن تصبح دولة قائدة؟

للدولة القائدة مواصفات لا تنطبق في معظمها على السعودية:

ـ الدولة القائدة، يفترض فيها أن تحوز أولاً على مواصفات ذات أهمية خاصة على الصعيدين البشري والجغرافي وعلى صعيد العمق الحضاري. لا أن تكون دولة طرفية، ولا أن تكون دولة قليلة السكان، ولا أن تكون بلا خلفية حضارية. والسعودية وإن حازت على بعض الصفات، إلا أنها تفتقد أكثرها.

ـ والدولة القائدة، يفترض فيها أن تكون دولة النموذج، على الأقل في بعض الأبعاد. كأن تكون دولة ناجحة إقتصادياً؛ أو أن تكون دولة ذات تجربة سياسية ناضجة؛ أو أن تكون دولة ذات خبرة في الوساطة والعمل السياسي؛ أو أن تكون قوّة عسكرية يحسب لها حساب؛ وغير ذلك. والسعودية لم تكن دولة نموذج البتة في أي من هذه الأمور، أو على الأقل ليست هي كذلك منذ أكثر من عقدين من السنين.

ـ والدولة القائدة، هي الدولة التي تقف في المقدمة، تنافح عن مصالح من تزعم أنها تقودهم، ولديها قدرة على الحشد السياسي، وعلى تحمّل أثمان بقائها في الطليعة. عليها ان تكون طليعية في الدفاع عن قضايا الأمّة، وأن تكون الملجأ لمن يعاني من أزمة محلية أو خارجية.

ـ والدولة القائدة، دولة أبويّة، تترفّع عن الدخول في المنازعات، ولا تقبل أن تتزحزح عن موقع الحياد بين المتخاصمين الذين تمثلهم بنسبة أو بأخرى. لأن الخروج عن الحياد، يعني فقدان المصداقية، والاصطفاف مع طرف ضد آخر، يجعل الأخير خارجاً عن إطار الأبوية، رافضاً لمنطق الدولة القائدة. الدولة القائدة دولة متسامحة، لأن تسامحها يجعلها أبوية، وفوق الجدل والنقاش، لا تنزل الى الصغائر، ولا تغلب التكتيك على الإستراتيجيا.

ـ والدولة القائدة، ليست دولة مبادرة في السياسة فقط، بل هي مبادرة في العون والمساعدة المالية والإقتصادية والعسكرية إن تطلّب الأمر. ومبادرات الدولة القائدة محسوبة بالتوازنات السياسية، وتراعي مشاعر ومصالح الدول والشعوب. هي دولة حريصة على عدم مصادمة الرأي العام في مشاعره ومواقفه، ما يجعلها تهندس مبادراتها وتهيّء لها أرضية النجاح قبل أن تطلقها. لا أن تكون الدولة القائدة في جانب، والشارع الذي يفترض أن تقوده في جانب آخر.

ـ والدولة القائدة، دولة وطنيّة، حريصة على استقلالها عن الأجنبي بالذات، ليس فقط باعتبارها دولة النموذج، بل وأيضاً الدولة التي يُنظر اليها بأنها تغلّب مصالحها ومصالح من تقودهم على مصالح الأجانب.. هي الدولة التي تضع المصلحة الوطنية والإسلامية او العربية فوق مصالح الأجانب. هي دولة غير متهمة في ولاءاتها وأجنداتها السياسية. وهي دولة رصينة، واثقة من نفسها، واثقة من دعم شعبها والتفاف شعوب العالم العربي والإسلامي من حولها.

مثل هذه المواصفات للدولة القائدة، لا تنطبق على السعودية، وحتى لو رأى المؤيدون للأخيرة أن مواصفات الدولة القائدة تنطبق عليها، فإن المهم هو أن أكثر المواطنين العرب والمسلمين لا يرونها كذلك، ولا يلمسون من سياساتها ما يشير الى ذلك، كما أن الدول العربية والإسلامية بشكل عام، لا ترى صورة الدولة القائدة في تعاطيها مع السعودية، ولا السعودية نفسها تتمثّل في سلوكها ومواقفها السياسية الدولة القائدة. وليست الدولة السعودية بدعاً في هذا، فحتى مصر، الأكثر تأهيلاً لأن تقود العرب، لم تعد منذ أكثر من ثلاثة عقود دولة قائدة، وما شعار: مصر قلب العروبة النابض، إلا وهم.

وقد أدّى غياب الدولة القائدة في العالم العربي الى بروز الدور الإيراني، والى انطلاقة واسعة لتركيا باتجاه ممارسة دورها في الشرق الأوسط.. بل وأدّى ذلك الى بروز بعض الدول الصغيرة بعد غياب الكبار: قطر نموذجاً، لتمارس عمل الكبار الغائبين، والذين ساءهم منافستها لهم. هناك فراغ قيادي كبير في الشرق الأوسط، فجاءت إيران، وتركيا في الطريق، لتملآه.

مالذي يجعل السعودية غير قادرة على أن تصبح دولة قائدة؟

ابتداءً يعتقد السعوديون أن المال، والمركز الديني باعتبار وجود الأماكن المقدسة في

الحجاز تحت رعايتهم، يمكن أن يصنعا لبلدهم مكانة، وربما انتفاخاً سياسياً الى حد أن يقودوا العالم العربي.

في الحقيقة فإن السعودية لم تكن في يوم من الأيام قائدة للعالم العربي. حتى في تلك الفترة التي أطلق هيكل فيها على الوضع العربي وصف (الحقبة السعودية). والسبب، أن السعودية كانت ولاتزال الى اليوم، ليست الأكثر تأهيلاً لقيادة العرب، اعتماداً على ما ذكرناه في الشروط الواجب توافرها في الدولة القائدة.

ـ لا تستطيع السعودية أن تكون دولة قائدة بوجود مصر فاعلة. انكسار مصر، مع فاعلية سعودية يمكن ان يرفع الأخيرة. فمصر هي وسط العرب جغرافياً، والأكثر عراقة حضارياً، كما أنها أكثر سكاناً وخبرة وطموحاً، وتواصلاً مع محيط المشاكل العربي. كما أن مصر، والى وقت قريب، ومن خلال الأزهر، الأكثر تأثيراً في العالم الإسلامي من السعودية، على الأقل من ناحية المنهج المعتدل، وقبول المسلمين به. فضلاً عن أن مصر أثبتت في الماضي رياديتها من خلال التصدّي للقضايا العربية سواء في فلسطين أو في الجزائر وغيرهما.

ـ وتلاقي السعودية منافسة في الزعامة من آخرين، العراق الذي هو طرفي، ولكنه غنيّ اقتصادياً وبشرياً وله تراث حضاري وتطلع للزعامة؛ كما تلقى السعودية منافسة من سوريا، ومن الجزائر ومن آخرين. وبالتالي فإن السعودية، إن كانت تريد الزعامة، فعلى هذه الدول ابتداءً ان تنحني لها وتسلّم لها الأمر، مقابل تنازلات اقتصادية وسياسية، وهو أمرٌ لم تكن تقبل به كثيراً.

السعودية تستطيع أن تشارك في قيادة العالم العربي بصورة فاعلة، في حال كانت لديها الرؤية والمشروع السياسي لجذب أكثرية العرب، وتستطيع تهميش دولة مثل العراق وحتى الجزائر، إن كان المشروع السعودي مقنعاً طلائعياً يستقطب الشارع العربي قبل قياداته. وفي هذا السياق، على السعودية ايضاً ان تدفع ثمناً ما، لمصر، فالسعودية لا تكون زعيمة بدون رضا الكبار، والكبار لا يرضون بالتهميش ما لم تكن هناك مصلحة مجزية: إنها المساعدات المالية والإقتصادية.

والسعودية اعتمدت على ذلك كثيراً، ولكن هناك دول ليست بحاجة الى أن تشحذ الدعم السعودي المالي، مثل العراق قبل أن يغوص حالياً في متاعبه الخاصة بعد سقوط صدام حسين. ولكن السعودية التي كانت كريمة سخيّة في الدفع، تقلّص دعمها للأقربين والأبعدين، وبالتالي ليس هناك ما يغري للإلتحاق بمشاريعها السياسية أو الرضوخ لقيادتها، ورأيها. هذا ما حدث مع سوريا، ومع السودان، ومع آخرين.

المال لم يوظّف جيّداً لخدمة (الزعامة الإقليمية السعودية) رغم أن مفعول المال ليس نهائياً. وقد حدث هذا خاصة منذ بداية التسعينيات الميلادية الماضية وحتى الآن.

والسعودية ليست مخيفة عسكرياً، ولا مخيفة سياسياً، حتى يرضخ لمشاريعها الآخرون، ويقبلون بزعامتها. نعم كان هناك شعور في الماضي بأن السعودية تمثل بوابة الرضا الأميركي، فمن يريد علاقة حسنة بواشنطن عليه ان يتجه الى الرياض. ولكن الرياض لم تعد أثيرة كثيراً لدى واشنطن مثلما كانت في السابق، فضلاً عن أن اسرائيل أغرت بعض الحكام العرب لتكون بوابتهم وأقنعتهم بأن علاقة جيدة معها تمنحهم حصانة من الاعتداء من أميركا ومن الغرب عامة.

ثم ان السعودية وانتعاش دورها في السبعينيات جاء تحت مظلة إجماع عربي ولو لم يكن صلباً، وفي ظرف كانت فيه أميركا أثيرة لدى البعض، وفي غاية قوتها وانتعاشها. أما الدور الأميركي اليوم فضعيف، والآمال منه محدودة للغاية، وضعف الدور الأميركي في المنطقة تبعه ضعف وضمور في الدور السعودي نفسه، بل يمكن القول بأن تبعات الضعف الأميركي مثل خسارة كبيرة للنفوذ السعودي نفسه. ذلك أن كل من اقترب من الولايات المتحدة المكروهة من العرب، صار مكروهاً ومصنّفاً، وإن الإنغماس في الأجندة الأميركية أفقد السعودية هامش الإستقلال الصغير الذي كانت تتمتع به، ما جعل أجندتها السياسية متواطئة مع المشروع الأميركي، وغير مفيدة لدول عربية، وصار سهلاً عليها تهميش الدور السعودي وعدم الإنصياع له.

هذا كلّه، أدّى ايضاً الى أن تتحول السعودية من دورها المتوازن والوسطي الى لعب دور غير محايد، فصارت شريكة في قيادة بضع دول سميت بدول الإعتدال العربي، وهذه الدول مكروهة على الصعيد العربي، كما هو الحال في مصر والأردن. أما الجسد العربي الأكبر، فهو خارج التغطية السياسية السعودية، وخارج الإهتمام السعودي أصلاً، كما هو الحال بشأن الصومال والصحراء الغربية وحتى السودان نفسه. السعودية التي دخلت في صراع مباشر مع العراق وسوريا وحتى دول خليجية فضلاً عن السودان وغيرها، لا يمكنها أن تصبح زعيمة عربية، ولا يمكن لمبادراتها بشأن السلام مع اسرائيل أن تنجح ليس فقط لأن المعنيين الأصليين بالملف غير راضين عن تلك المبادرات، بل وأيضاً لأن السعودية في عداء مباشر معها، كما هو الحال مع حماس وحزب الله، ومع سوريا (حيث هناك محاولات لترطيب العلاقات مع هذه الأخيرة، وآخرها زيارة الأسد في ١٣ من هذا الشهر الى الرياض).

والسعودية المثقلة بهمومها الداخلية وخسائرها السياسية المتواصلة على الصعيد الإسلامي والإقليمي العربي (أفغانستان، العراق، لبنان، فلسطين، وحديثاً اليمن) لا يمكنها مع وجود قيادة هرمة على حافة القبر أن تنعش زعامتها المنتكسة يوماً بعد آخر، ولا أن تغيّر من المعادلات الأخرى في ظروف تنافس شديد من لاعبين جدد: إيران وتركيا تحديداً، هم أكثر تمرّساً ونشاطاً وقدرة وجاذبية.

لهذا، يمكن القول بأن مزاعم الدولة السعودية القائدة ليست صحيحة حتى وإن كانت على الورق!، فضلاً عن أن الواقع السعودي والإقليمي العربي لا يمكن أن يتوّج السعوديين بأدائهم البائس، وسياساتهم المنحازة، وعدائهم الشديد للمخالف، أن يتوّجهم قادة بين ليلة وضحاها. السعودية خسرت مكانتها تدريجياً، ويصعب في الظروف المنظورة أن تستعيدها، اللهم إلا بإحداث تغييرات جذرية في مساراتها وخياراتها السياسية ومسلكها في علاقاتها الإستعلائية مع الآخرين.

سنشهد المزيد من الإنحطاط في الدور السعودي الإقليمي، والمزيد من الإستهجان لطبيعة النظام السياسي القائم، ولخياره المذهبي الطائفي التكفيري، وحتى لنهجه الخاص فيما يزعم بشأن التنمية الإقتصادية. فهناك دول خليجية سبقت السعودية بمراحل. والسعودية اليوم غائبة عن الأحداث السياسية الكبرى، وقوّة مزعومة ليس لها على أرض الواقع من تجليّات ملموسة.

والحركة السياسية التي شهدناها في بداية العام الحالي بشأن إعادة الحياة للمسار التفاوضي مع اسرائيل وما تبع ذلك من بعض الحراك من قبل وزير الخارجية السعودي الذي طاف شرم الشيخ والكويت ودمشق واستقبل في الرياض خالد مشعل، هي مجرد نصف صحوة لنائم مضى عليه عقدان على الأقل لا يعي ما حوله، وإن وعى فإنه لا يريد الإعتراف لا بضعفه ولا بالأمر الواقع، ولا هو مستعدّ للتنافس عبر العمل والعطاء وتغيير المنهج الخاطئ.

باختصار.. السعودية كقوة مزعومة صارت تاريخاً.

الرياض تحَذّر صنعاء من تضخيم خطر (القاعدة)

الخوف من نموذج أفغانستان ـ باكستان

فريد أيهم

ليس هناك من المراقبين من يملك رؤية واضحة حول ما يجري في اليمن، وليس هناك قناعة بالتهويل المتزايد حول خطر القاعدة.. هناك من يرى بأن الحرب على القاعدة تنطوي على أهداف أخرى، من أبرزها انقاذ نظام علي عبد الله صالح، وتهيئة أرضية لوجود عسكري دائم في اليمن..

فجأة تبدّل المشهد، ولم تعد معادلة الحرب تحتفظ بعناصرها، فقد تحوّلت القاعدة هي المشكلة في اليمن، وليست النظام اليمني ولا الحوثيين أو الحراك الجنوبي بل ولا اليمن برمته الذي يعيش منذ سنوات أزمة إقتصادية وإنسانية وسياسية خانقة. إذاً هي القاعدة، الطعم الذي أراد النظام اليمني تقديمه إلى الإدارة الأميركية كيما تتدخل لإنقاذ النظام اليمني، ولم يدرك الأخير بأن التدخّل الأميركي لن يكون وفق شروط يمنية أو سعودية، وإنما ستكون وفق أجندة أميركية خالصة. لا ريب أن الوجود الأميركي كما أراده السعوديون واليمنيون هو كما كتب داوود الشريان في صحيفة (الحياة) في ٤ يناير الجاري هو (ان التمرد الحوثي هو الدافع الأول للرغبة الأميركية)، وهو ما يفهمه الحوثيون أيضاً، ولذلك رحبّت الحكومة اليمنية بالدعم الأميركي ـ البريطاني المشترك لهذه الغاية. ولكن ما هو جديد في الأمر، هو ما عبّرعنه نائب رئيس الوزراء لشؤون والدفاع والأمن وزير الإدارة المحلية في اليمن رشاد العليمي في ٦ يناير الجاري قال فيه (ان أي تدخل عسكري أميركي مباشر يمكن أن يقوّي تنظيم القاعدة بدلاً من أن يضعفه)، مؤكداً (تمحور التعاون المنشود مع واشنطن في مكافحة التنظيم المتطرف حول التدريب والتسليح وتبادل المعلومات).

هذا الموقف اليمني كان سعودياً قبل ذلك، وقد عبّر عنه الشريان في مقالته بعنوان (أمريكا في اليمن) سالفة الذكر، حين تعرّض للخطة الأولية لمواجهة تنظيم القاعدة، وأن القوة المؤلفة من عناصر من القوات الأميركية والبريطانية إضافة الى وجود رمزي من الجيش اليمني هي الصيغة المبدئية المصمّمة لمواجهة خطر القاعدة في اليمن. ثم يقول الشريان (لكن التجربة تقول أن هذه القوة ستصبح وسيلة لزيادة مخاطر الإرهاب في اليمن). ويشرح ذلك (إذا كان العراق يشكو من تهريب المتسللين، فإن محاولة ضبط الحدود اليمنية ستكون ضرباً من الخيال. وبدلاً من سفر بعض الشباب الى البلاد البعيدة للجهاد فإن القوات الأميركية في اليمن ستكون هدفاً سهلاً).

ما يلفت الإنتباه، أن الموقف اليمني من الحضور العسكري الأميركي المباشر في اليمن جاء بعد وصول رسالة من الملك عبد الله الى الرئيس اليمني في ٤ يناير الجاري والذي أشير فيها إلى التعاون الأمني بين الدولتين. في نفس اليوم تبدّل الموقف اليمني، وأطلق وزير الخارجية اليمني أبو بكر القربي في ٤ يناير تصريحاً خلال زيارة قام بها الى الدوحة، لإعادة ترميم العلاقة معها بعد إسقاط صنعاء اتفاق الدوحة مع الحوثيين من جانب واحد، رفض فيه (أي مقارنة بين بلاده وافغانستان حيث ينتشر تنظيم القاعدة). وقال (هناك إشكالية متعلّقة بالقاعدة واهتمام دولي بنشاط القاعدة في اليمن، واليمن قادر على التعامل مع هذه الجماعات)، ثم يحدّد طبيعة الدور الأميركي المطلوب في اليمن (ولكن اليمن بحاجة لتعاون

> **تشعر القيادة اليمنية بأن ثمة حاجة لتأطير العون الأميركي، حتى لا تتحوّل اليمن الى أفغانستان، وتصبح السعودية باكستان**

دولي في تدريب واعداد وحدات مكافحة الارهاب اليمنية والدعم التنموي فالمشكلة ايضا تعد مشكلة اقتصادية). قائد جهاز الأمن القومي اليمني علي الأنسي قلّل في نفس اليوم من خطر القاعدة على اليمن، وقال بأن ما يقال عن وجود القاعدة بالبلاد (مبالغ فيه) ويصب في استهداف اليمن.

مالذي تغيّر إذن حتى تبدّلت، بصورة دراماتيكية، لهجة الحكومة اليمنية حيال خطر القاعدة الذي أرادته طعماً لاستدراج القوات الأميركية والبريطانية الى اليمن؟ ولماذا بدأ المسؤولون اليمنيون حملة نفي واسعة لأي مشاركة أميركية مباشرة في الحرب ضد القاعدة، بحيث دعت وزير الخارجية اليمني القربي إلى نفي التقارير التي تحدّثت عن اتفاق صنعاء وواشنطن على تنسيق أمني للحرب على القاعدة يتيح للأخيرة بمرور صواريخ موجّهة وطائرات مقاتلة وأخرى بدون طيار لضرب مراكز القاعدة في اليمن؟ ولماذا صدرت مواقف متزامنة من البيت الأبيض والحكومة اليمنية من أن التعاون سيقتصر على التدريب والمعلومات الاستخبارية والمساعدات العسكرية بعد أن كان الحديث عن تدخّل مباشر، عقب تصعيد خطر القاعدة في اليمن. يتذكّر المراقبون بأنه في الأسابيع الأولى للحرب ضد الحوثيين في صعده، كان الجانب اليمني يتولى إطلاق التصريحات حول وجود اتفاق أمني بين صنعاء وواشنطن فيما كان السفير الأميركي في صنعاء ينفي وجود مثل هذا الإتفاق، ولكن بعد أن تمّ (تهويل) خطر القاعدة، وبدأت الولايات المتحدة بتنفيذ خطة خاصة في مكافحة الإرهاب على طريقتها الخاصة، شعر الجانب اليمني الرسمي بأن ثمة حاجة لتأطير العون الأميركي، حتى لا تتحوّل اليمن الى افغانستان أخرى، ويفقد علي عبد الله صالح زمام السيطرة على الشأن اليمني، وبالتالي يضع السعودية في مهب اضطرابات واسعة، شأن باكستان. وبدلاً من ذلك، وجّه القربي خطر القاعدة ناحية السعودية لاستجلاب دعمها المالي على أن تقدّم الولايات المتحدة دعمها العسكري والاستخباري وحذّر القربي من أن خطر القاعدة قد ينتشر أكثر في حال لم تتعاون كل الدول لمواجهته، داعياً في الوقت نفسه إلى (جهود عربية مشتركة لمواجهة خطر الإرهاب).

لم تكن الدعوة اليمنية للقوات الأميركية بحاجة الى مبررات كثيرة، خصوصاً وأن الرئيس علي عبد الله صالح هو من وفّر المسوّغ الأول، لتكرّ سبحة المسوّغات في وقت لاحق، فطالما أن الحرب على الإرهاب هو ما يطالب به الرئيس علي عبد الله صالح، فقد توافرت مسوّغات لاحقة تستوجب تعزيز قدرات عسكرية لمكافحة الإرهاب في اليمن، من بينها محاولة التفجير الفاشلة التي استهدفت طائرة أميركية في ٢٥ ديسمبر الماضي وتبنّتها القاعدة في جزيرة العرب التي تتخذ من اليمن معقلاً لها وتبيّن لاحقاً بأن النيجيري عمر الفاروق كان قد

جاء الى اليمن في وقت سابق والتحق بالتنظيم، ثم جاءت الاغلاقات المتسلسلة للسفارات الأميركية والبريطانية والفرنسية على خلفية تهديدات بشن هجمات على بعثات التمثيل الأجنبية في اليمن.

هناك شعور بأن نموذج أفغانستان ـ باكستان قد يتكرر في اليمن ـ السعودية، ففي حال تطاير عناصر القاعدة من الوكر اليمني ستكون السعودية ساحة الحرب المفتوحة بين القاعدة والقوات الأميركية، وهذا ما يخشاه الأمراء السعوديون، ولذلك أبلغوا الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بتخفيف نبرة المطالبة بالتدخل العسكري الأميركي المباشر، خصوصاً بعد ظهور مؤشرات أميركية وغربية (وخصوصاً بريطانية) تفيد بأن ثمة نوايا جديّة لناحية التدخّل في الشأن اليمني، وما المؤتمر الدولي الذي دعا إليه رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون في ديسمبر الماضي، وحظي بترحيب يمني رسمي، إلا واحد من تلك المؤشرات البارزة، حيث سيكون مخصّصاً لمناقشة المسألة اليمنية بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وهو ما يخشاه الرئيس اليمني.

مصادر يمنية معارضة ذكرت بأن الرئيس علي عبد الله صالح إقترف خطأ فادحاً حين ألحّ على استدراج الأميركيين الى اليمن في سبيل إنقاذ النظام من الانهيار، ونسي أنه قدّم هديّة مجانية بتحويل اليمن إلى قاعدة عسكرية متقدّمة للقوات الأميركية.

محاولات الحكومة اليمنية التقليل من مخاطر القاعدة في اليمن جاءت متأخرة، رغم أن من مصلحة السعودية واليمن في إطالة أمد النزاع ضد الحوثيين، التي لم يكن لإيران أي دخل فيها. فقد بدأ النزاع في اليمن باعتباره شأناً داخلياً بين الحكومة اليمنية والحوثيين في محافظة صعدة ومرتبطة بوضع إنساني وإقتصادي وسياسي تعيشه المحافظة منذ العام ٢٠٠٤، ولكن بعد التدخّل العسكري السعودي في نوفمبر الماضي أخذ النزاع بعداً إقليمياً وجرى إقحام إيران في النزاع، وفق رغبة يمنية للحفاظ على دعم سعودي مستمر. المراقبون الأجانب لم يعثروا على دليل يثبت أي دعم إيراني لافت للحوثيين، بالرغم من الاحتجاجات اليمنية والسعودية.

وبصرف النظر عن المناوشات الإعلامية بين السعودية وايران من جهة والحكومة اليمنية والحوثيين من جهة ثانية، فإن تداعيات المواجهات العسكرية كانت خطيرة على الجانبين اليمني والسعودي، فبعد أن كان النزاع مقتصراً على محافظة واحدة أصبح يدور في ست محافظات، فيما تظهر التقارير العسكرية أن لا القوات السعودية ولا الجيش اليمني إستطاع تحقيق تقدّم ملحوظ في الميدان، بل على العكس إزدادت الأمور سوءاً منذ قررت القيادة اليمنية خلط الأوراق بتضخيم خطر القاعدة، الذي يدرك كل المتابعين للشأن اليمني بأنه خطر مبالغ فيه، بل ينظر الحوثيون إلى القاعدة في اليمن بأنها منتج يمني رسمي، وكانت تعمل في خدمة الرئيس علي عبد الله صالح، وأن بعض عناصر القاعدة جزء من التشكيلات العسكرية النظامية، وقد شاركوا في الحرب ضد الحوثيين وتلقّوا ضربات موجعة من الحوثيين اضطرت القاعدة بعدها للنأي عن أية مواجهات مباشرة معهم. ومع ذلك، تبدو وجيهة أطروحة الحوثيين لمعالجة الأزمة اليمنية، حين طالبوا بحل شامل يفضي الى احتواء أية مخاطر سواء جاءت من القاعدة أو من غيرها، وتجنيب اليمن أية كوارث سياسية وأمنية وإنسانية. ولكن لدى الحكومة اليمنية التي يقودها الرئيس علي عبد الله صالح معالجة مختلفة، فهو يريد حلاً يبقي على مافي يده من امتيازات وسلطة، كما يبقي في الوقت نفسه على مصادر الدعم الخارجية سواء من السعودية أو الولايات المتحدة. ولذلك، لم تحظَ دعوة الرئيس اليمني للحوار بقبول قوى المعارضة وتعتبرها مجرد مناورة سياسية لكسب الوقت، مع الاحتفاظ بتمامية السلطة داخل دائرة الرئيس والمقرّبين منه.

لا يحتاج الحوثيون الى تدريب عسكري من الخارج، بالنظر الى أن معظمهم كانوا في نظام

تطاير عناصر القاعدة من الوكر اليمني يجعل السعودية ساحة حرب مفتوحة بين القاعدة والقوات الأميركية، وهو ما يخشاه الأمراء

الخدمة العسكرية الالزامية، ولا يحتاجون الى الأسلحة من الخارج أيضاً، في ظل وجود أسلحة في السوق السوداء التي شهدت إنتعاشاً بعد الحرب الأهلية في اليمن العام ١٩٩٤. الحكومة اليمنية تزعم بأنها صادرت شاحنة إيرانية تحتوي على أسلحة بالقرب من محافظة صعدة، ولكن فشل الحكومة اليمنية في عرض الأسلحة المصادرة جعلت من الصعوبة بمكان تأكيد أو التحقق من مزاعمها. وحتى بالنسبة للادعاءات حول الدعم المالي الإيراني للحوثيين، فإن المسؤولين اليمنيين صرّحوا مراراً بأنه قد يكون الحوثيون يتلقون دعماً من مؤسسات أو شخصيات شيعية غير حكومية. ومع ذلك، فإن اليمن من الناحية الجغرافية ليست مريحة بالنسبة لإيران، وأن الوجودات الرمزية للحوثيين في بعض الدول الخليجية أو الأوروبية لم تحمل مؤشرات على تلقي الحوثيين دعم عسكري أو مالي إيراني.


وقعا في المأزق معاً

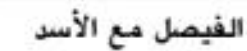
ماهو واضح على الأرض حالياً، أن القوة الإقليمية الوحيدة هي السعودية التي تلعب دوراً فاعلاً وغير مساعد في الحرب بين قوات علي عبد الله صالح والحوثيين، وأن المزاعم حول الدعم الإيراني للحوثيين لم تكن تحقق سوى نتيجة واحدة وهي خلق حرب نيابة التي يبدو أنها وصلت إلى طريق مسدود، بعد أن عجزت القوات السعودية عن تقدّم عسكري يذكر، بل هناك من ينظر إلى الإخفاق السعودي بأنه يحمل في طياته نتائج كارثية على صورتها في الداخل والخارج، وبات ينظر إليها على أنها مجرد جثّة متحركة. فحركات المقاومة الشعبية التي تعتمد حرب العصابات نادراً ما تختفي بفعل القوة العسكرية وحدها. وحيث أن كلا الجبهتين السعودية واليمنية تسجّلان فشلاً ذريعاً في الإلتزام بأي حل متعادل وطويل الأمد للمسألة الحوثية، فإن الفرضية تبقى أن الطرفين السعودي واليمني يعتقدان بأن الحل لن يكون لصالح أحد. مشكلة السعودية تتلخص في أنها لا تريد أن ترى حركة مقاومة زيدية على حدودها، تنعم لاحقاً باستقلال ذاتي تدعمه ايران أو ليبيا، اللتان ترحبان بفرصة من هذا القبيل للضغط على السعوديين. ولكن الحل لهذه المشكلة يتم من خلال إصلاح سياسي واجتماعي يحقق الكثير من الاستقرار، وهو ما لا تريده الحكومة اليمنية وتحاول أن تطيل أمد الأزمة لعلها تعثر على حل ما، لأنها تريد الحفاظ على حكومة وإن كانت فاسدة وخاوية.

نشاط دبلوماسي محموم لإعادة إحياء المبادرة السعودية

السعودية تقود عربة التسوية الى ليبيا!

عمر المالكي




الفيصل مع الأسد


ومع مشعل

أشبه بنفير سياسي عام، بدأت المكائن الدبلوماسية في عواصم عربية وغربية بالدوران وكأنها في سباق مع الزمن، وكانت عواصم دول (الاعتدال) وخصوصاً: الرياض، القاهرة، عمّان مراكز تخصيب عالية الكفاءة لمبادرة سعودية طرحت أول مرة في قمة بيروت العام ٢٠٠٢، ثم تعدّلت في قمة الرياض في مارس من العام ٢٠٠٧ قبل أن تتعثر إسرائيلياً، رغم إلحاح دول الاعتدال في الاستجداء طيلة السنوات الماضية لناحية إقناع الإسرائيليين بجدوى (الجلوس على الطاولة) والقبول بمبدأ التفاوض على أساس المبادرة العربية المسعودة.

وفيما تقلّص هامش المناورة لدى عواصم الإعتدال فيما كانت الدولة العبرية ماضية في خططها، كان موضوع التوسّع الإستيطاني في الضفة الغربية وحده الموضوع الخلافي بين الشركاء الجدد في عملية السلام. فقد اشتعلت الجبهات العربية والغربية ضد الدولة العبرية من أجل وقف الاستيطان، فيما لم تسفر تلك الحرب الشعواء عن نتائج على الأرض، فقد كان الإتفاق بين الرئيس الأميركي باراك أوباما ورئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو على الاستمرار في التمدّد الاستيطاني وعدم الاكتراث لما يتعرّض له الكيان الاسرائيلي من ضغوطات ناعمة جداً في هذا الشأن.

في ظل المماحكات الهزلية، تعرّض عرّابو المبادرة العربية المسعوّدة إلى تحدّيات جدّية جعلت من إمكانية تعبئة الأجواء العربية لاستقبال المبادرة بالغة الصعوبة، فثمة في هذه الأمة من لايزال يمتلك بعض الحياء من أجل دماء فلسطين التي تهرق على معابر الاعتدال العربي. ليس في الأفق ما يبشّر بخير، لأن الأمناء على القضية باتوا في مقلب مناقض لها، وهم على استعداد للسير في طريق التسوية حتى لو فُني الشعب الفلسطيني بأكمله.

ما إن أطلّ العام الميلادي برأسه حتى بدأت مروحة من اللقاءات المكوكية بين مسؤولين في عواصم غربية وعربية لخوض تجربة جديدة من أجل إقناع حكومة نتنياهو بقبول مبدأ التفاوض على أساس المبادرة السعودية. بعض المسؤولين في دول الإعتدال لم يعد لديهم مهمة فعلية سوى العمل على إنجاح مبادرة السلام مع الكيان الاسرائيلي. فقد صمتت الجامعة العربية وأمينها العام عمرو موسى عن كل مشكلات المنطقة بما فيها الحروب الدائرة في اليمن، والصومال، والسودان وغيرها من مشكلات أمتنا المنكوبة بحكّامها، ثم أفاقت الجامعة وأمينها العام مجدداً لتبدأ نشاطاً غير مسبوق ليس لتهيئة أجواء مصالحة عربية وحل الخلافات الداخلية أو التوسّط لوقف الحروب المخزية في اليمن والصومال والسودان، وإنما للقيام بدور العرّاب لمبادرة سعودية تمهّد لتطبيع شامل مع الدولة العبرية. لقد أصبحت الأخيرة (الطفل المدلل) لدى الحكومات العربية قبل الغربية، تصحيحاً لكلام وزير الخارجية سعود الفيصل في ٢ يناير الجاري.

على أية حال، فإن كل التحرّكات الدبلوماسية التي بدأت في عواصم الاعتدال منذ بداية العام الجديدة مصمّمة لتهيئة أجواء تسوية طمعاً في قبول الدولة العبرية المدلّلة بمبادرة الملك عبد الله. ولأن ظروف النجاح متوقّفة على توفير واشنطن غطاءً سياسياً ودبلوماسياً، وفي لحظة ما مالياً، فإن صفارة انطلاق التحرّك جاءت من البيت الأبيض، حيث تم الإعلان عن جولة جديدة من الدبلوماسية النشطة يقوم بها مبعوث الرئيس الأميركي الى الشرق الأوسط جورج ميتشيل، الذي كما يبدو مازال يراهن على الرمق الأخير من العبقرية التفاوضية التي شارفت على النضب، رغم كل الأجواء المساعدة في الشرق الأوسط على إنجاح مهمته.

في إشارة واضحة عن بدء التحرّك الدبلوماسي على مستوى دولي، أعلنت إدارة الرئيس باراك أوباما عن مشروع سلام في الشرق الأوسط يتم خلال سنتين، بحسب ما كشفت عنه صحيفة (معاريف) الاسرائيلية في ٤ يناير الجاري، وهي نفس المدة التي عرضها نتنياهو على الرئيس المصري حسني مبارك في زيارته الأخيرة للقاهرة قبل ذلك بيوم. ويقوم العرض الاسرائيلي على أساس البدء بمناقشة مسألة الحدود

أولاً قبل الحديث عن الاستيطان واللاجئين. وقد أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو في ٤ يناير عن استعداده للمفاوضات مع رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس بدون شروط مسبقة. ولا ندري إن كانت العبارة الأخيرة تنطوي على دلالات معينة في البعدين الفلسطيني والعربي، أي أن لا يطلب عباس وقف الاستيطان كشرط لاستئناف المفاوضات مع الحكومة الاسرائيلية وأن لا تكون المبادرة العربية أساساً للتفاوض. وفي كل الاحوال، فإن الشروط والشروط المضادة لم تعد هي ما يحول دون استئناف المفاوضات بقدر ما هو استعداد الجانب الاسرائيلي لمجرد الإنطلاق من نقطة مشتركة، وقد حدّدتها سلفاً من سرطان المستوطنات غير القابل للتوقف.

زيارة نتنياهو الى القاهرة وما حملته من إشارات فسّرها قادة الإعتدال بأنها مشجّعة، أرست أساساً مشجّعاً لتحريك المياه الراكدة في قناة السلام، وجاءت الرسالة الأميركية واضحة بأن واشنطن ستكون حاضرة في عملية التسويّة. وتنادى الرئيس المصري حسني مبارك والملك الأردني عبد الله الثاني والرئيس الفلسطيني محمود عباس الى شرم الشيخ في ٤ يناير للبحث في ترتيبات عملية السلام، والتي كما يبدو أن ثمة تنازلات جديدة يجري بحثها فيما يرتبط بموضوع اللاجئين والقدس والتي تضعها الدولة العبرية عقبة في طريق التسوية، ولذلك ترجّح الحديث عن الحدود ابتداءً.

وكان على الرياض أن تلعب دوراً مركزياً في تحريك العملية التسووية، ليس لأنها صاحبة مبادرة السلام مع الكيان الاسرائيلي فحسب، بل لأنها رعت مبادرة مصالحة فلسطينية جمعت فتح وحماس في مكة ومالبثت أن انهارت بفعل عدم توازن الوساطة السعودية. تدرك الرياض بأن ثمة أطرافاً فلسطينية لن تقبل بأي تسوية تأتي على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، الأمر الذي يتطلب عملاً استثنائياً من أجل إقناع، أو على الأقل تحييد هذه الأطراف للحفاظ على مناخ موآت للتسوية في الشرق الأوسط.

زيارةً خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، الى الرياض في ٣ يناير واجتماعه مع الأمير سعود الفيصل جاءت في سياق التحرّك الدبلوماسي السعودي لناحية الضغط أو استيعاب القوى الفلسطينية المختلفة، وخصوصاً حركتي فتح وحماس. كلام سعود الفيصل عن سؤال مشعل عن عروبة القضية الفلسطينية لم يكن مقصوداً بذاته، فمصادر فلسطينية تحدّثت عن عرض سعودي سخي لحركة حماس إن هي تخلّت عن التحالف مع ايران في مقابل الحصول على معونات سعودية لإعادة إعمار غزة، وإدخال الحركة كشريك أساسي في السلطة الفلسطينية. ثمة مصدر فلسطيني آخر ذكر بأن الرياض والقاهرة لعبا دوراً تكاملياً، فبينما تعرض الأولى المعونات المالية السخيّة، تتولى الثانية مهمة مواصلة تضييق الخناق على قطاع غزة لإرغام قادة حماس على القبول بالعرض السعودي، وصولاً إلى إتمام ما يسمى بالمصالحة الفلسطينية التي ترعاها القاهرة، فيما ترفض حركة حماس التوقيع عليها وفق الشروط الإضافية التي تملى عليها من يوم لآخر.

ما رشح من لقاء مشعل ـ الفيصل في الرياض لا يعدّ مشجّعاً، خصوصاً بعد تصريح خالد مشعل بأن الرياض تفهّمت موقف حركة حماس من موضوع المصالحة الفلسطينية، ولكن التحرّكات العاجلة التي قام بها الفيصل بعد اللقاء تنبىء عن شيء ما إيجابي من وجهة نظر المعتدلين العرب فيما يرتبط بالمبادرة السعودية للسلام. بدأ سعود الفيصل جولته الدبلوماسية من الكويت باعتبارها الدولة الرئيسة للقمة العربية الحالية والتي زارها في ٤ يناير، ونقل إلى قيادتها الشيخ صباح الأحمد رسالة شفوية من الملك عبد الله، كانت تدور حول مبادرة السلام العربية، وتبني الكويت لها في القمة العربية المقبلة في ليبيا يومي ٢٧ و٢٨ مارس المقبل.

بعدها طار سعود الفيصل الى شرم الشيخ والتقى الرئيس المصري حسني مبارك، وسلّمه رسالة من الملك عبد الله كما أطلعه على نتائج مشاوراته مع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل وأمير الكويت، وأطلق سعود الفيصل في مؤتمر صحفي عقده خلال الزيارة تصريحاً واضحاً بأن المبادرة العربية للسلام (قادرة على إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي ولصالح الجانبين). وأضاف (إن هذه المبادرة موجودة وجاهزة للتطبيق ونحن نأمل بأن يتم تبني هذه المبادرة من قبل كل الأطراف المعنية بعملية السلام في الشرق الأوسط قبل أن يضيع الوقت). ومن هناك قام بزيارة دمشق والتقى بالرئيس السوري بشار الأسد في ٥ يناير، والتي حدّد الفيصل الغرض من اللقاء بأنها تدور حول المبادرة العربية وقال (إن زيارتي لدمشق تأتي لهذا الغرض وليس لشيء آخر). فكل ما صدر من تصريحات حول وقوف سورية مع السعودية في حربها ضد الجماعات الحوثية في اليمن أو القاعدة، ليست سوى غطاء للموضوع الرئيسي وهو محاولة إقناع الأطراف العربية الرئيسية التي لديها موقف مختلف في مقاربة عملية السلام بالمشاركة في دعم المبادرة العربية.

الأمناء على القضية باتوا في المقلب الآخر، وهم على استعداد للسير في طريق تسوية مذلّة حتى لو فُني الشعب الفلسطيني بأكمله!

فالدفء الذي عاد الى العلاقات السعودية السورية لم يكن مصدره مجرد التوافق على الموضوع اللبناني أو الوضع في العراق أو غيره، بل لأن ثمة موضوعاً أشدّ إلحاحاً مطلوباً لذاته ولغيره يراد تحقيقه. وهذا يفسّر لماذا يعود سعود الفيصل الذي طالما شكت دمشق من صفاقته طيلة سنوات التوتّر إلى حد السعي مع أطراف غربية لإسقاط نظام الحكم في سوريا، وحتى حين تحرّكت الرياض صوب دمشق، زار الملك عبد الله في أكتوبر الماضي سورية دون اصطحاب سعود الفيصل، ولم يختر الملك عبد الله سوى إبنه كيما يكون مبعوثه الخاص الى الرئيس الأسد بخصوص الترتيبات حول الملف اللبناني.

في نفس اليوم، أي الخامس من يناير، كانت ثمة قمة سعودية ـ أردنية في الرياض للتشاور حول خطة (إنعاش عملية السلام المجمّدة، وطبيعة التحرّك المستقبلي) لتسويق المبادرة العربية.

موضوعات كثيرة تطرح في القمم الثنائية واللقاءات بين المسؤولين السعوديين ونظرائهم العرب، ولكن ليس ثمة ما يشغل قادة الاعتدال هذه الأيام سوى المبادرة العربية قبل حلول موعد القمة العربية، خصوصاً وأنها ستنعقد في عاصمة عربية ليست على وفاق مع آل سعود، الأمر الذي يتطلب جهوداً استثنائية مضاعفة للحيلولة دون وقوع مفاجئات غير سارة في طرابلس الغرب، التي مازالت مستبعدة من التحرّك السعودي، وقد يتطلب من عمرو موسى لعب دور في هذا الصدد لناحية تأهيل دور ليبي لاحتضان المبادرة العربية. ثمة من يشكّك في نجاح مسعى من هذا القبيل، فالقيادة الليبية ستكون على قدر كبير من الحذر في أن تكون بلادها منطلقاً لتسوية مع الدولة العبرية، وحتى لا يسجّل التاريخ بأن قطار الاستسلام تحرّك من الأرض الليبيبة، وهو ما يحسب له الرئيس القذافي ألف حساب، وهو الذي يحمل رؤية عميقة وراسخة حول الدولة السعودية، باعتبارها دولة رجعية وخارج التاريخ.

في السياق نفسه، تأتي رسالة الملك عبد الله الى الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، الذي يعيش أياماً صعبة في ظل تفاقم الأوضاع الامنية والاقتصادية والإجتماعية، بالرغم من (المقويّات) التي حصل عليها من الولايات المتحدة لوقف مسلسل الإنهيار في بلاده. مطلوب من الرئيس اليمني إنهاء النزاع مع الحوثيين بعد أن وصلت محاولات اليمنيين والسعوديين لكسر المقاتلين الحوثيين الى الفشل، في ظل تصدّع كبير في جدار الثقة بقدرة القوات السعودية على خوض القتال. رسالة الملك عبد الله الى الرئيس اليمني والتي أوصلها الأمير خالد بن سلطان مساعد وزير الدفاع والأمير محمد بن نايف مساعد وزير الداخلية تدور حول شروط إنهاء الحرب ضد الحوثيين، والتي بلغت ستة شروط، بعد إضافة شرط جديد وهو عدم التعرّض لأمن المملكة. على أية حال، تسعى الرياض إلى رؤية نهاية سريعة لحرب اليمن من أجل تهيئة أجواء السلام مع الدولة العبرية، قبل أن تنعقد القمة العربية في ليبيا.

الرياض باتت ناشطة للغاية في طريق التسوية، وتحاول مهما كلّف الثمن ألا تضيع فرص التوصّل الى سلام مع الكيان الإسرائيلي لتحقيق رغبة السلف والخلف من الملوك السعوديين. يبقى، أن الرياض لا تملك من أوراق الضغط الدبلوماسي ما يمكّنها من تحقيق (خرق) سياسي لافت.

الصحويون يكتبون:

الشيخ العودة ودوره في الصحوة والعنف

سعد الشريف


سلمان العودة

مشكلة الصحويين تكمن في أنهم لا يتراجعوا عن متبنيات فكرية سابقة، وإذا ما وقعوا في مأزق قالوا بأن ذلك من الماضي، ولكن لا ترى في الماضي والحاضر ما يلمح إلى قطيعة، وأنه مجرد تجميد حقل وتنشيط آخر. بطبيعة الحال، فإن الأمر أعقد من ذلك بكثير. يعتقد البعض بأنه حقق بالفعل تحوّلاً فكرياً جوهرياً، ولم يعد يعتنق تلك الأفكار المسؤولة عن انخراط افراد كثر في المشروع العنفي، بل ربما هناك من يرى بأن أفكاره ليست بالخطورة التي يتصوّرها كثيرون، وقد يتهمّهم بالمبالغة أو الكيدية للنيل منه بذريعة أن أفكاره هي وراء انفجار السلفية القتالية. وقد يأتي آخر ويزعم بأن ما جرى في السابق قد طوي وليس مسؤولاً سوى عن (الآن) و(اللحظة) و(الراهن)، فمن سقط فيما مضى فأجره على الله سبحانه لأنه كان محكوماً بوعي ذاك الزمن، وإن عاش فقد بلغ الفتحّ!

الشيخ سلمان العودة، أحد صنّاع الصحوة السلفية في بعدها القتالي في السعودية، من بين أولئك الذي لم يقم بمراجعة وتراجع عن أفكاره الصحوية السابقة، فقد تركها كما هي مجمّدة، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فأمامه خياران: إما الإيمان بالأفكار الجديدة، وإما الجمع بين القديم والجديد، وتمضي لعبة الفوازير الصحوية على هذا النحو: فإن اختار الأول، فليست هناك مشكلة، ولكن إن اختار الجمع فأمامه طريقان..وهكذا. إلى تنتهي اللعبة إما النجاة أو الموت والتحلل!

الشيخ العودة دخل في جولة قضائية مع صحيفة (الوطن) السعودية التي نشرت خبراً في عددها رقم ١٥١٤ بتاريخ ١٩ شوال ١٤٢٥هـ تحت عنوان (سلمان العودة يستنجد بالمسؤولين لإيقاف ابنه ومنعه من السفر، والأمن يعثر على الابن ويسلمه خلال ٢٤ ساعة، والابن يفاجئ الجميع أنها مزحة العيد). وكتبت الصحيفة بأن: (إبن العودة ترك رسالة يخبره بأنه ذاهب إلى الجهاد، فطالب الشيخ المسئولين بالبحث عن ابنه مخافة أن يكون توجه للعراق، وأنه ظل قلقًا متوترًا قبل أن تتمكن الأجهزة الأمنية من توقيف الابن وإعادته)، وقالت الصحيفة (أن العودة ممن أصدروا بياناً يحثون الشباب فيه على الجهاد في العراق). وختمت الصحيفة الخبر بعبارة نصها (يا زمن العجائب)، بعد أن نسبت الخبر إلى مصدر موثوق وذلك لإظهاره بأنه في الوقت الذي يحرض أبناء المملكة على الذهاب للجهاد يفقد صوابه ويستنجد بالمسؤولين ليمنعوا ابنه.

وقام الشيخ العودة برفع قضية على الصحيفة، وطالبها بإثبات أنه كان يحث الشباب على الذهاب إلى العراق سراً، أو علانية بأي طريقة من طرق الإثبات. وأصدرت لجنة مكلّفة بالنظر في القضية حكماً لصالح العودة ضد الجريدة يقضي بإلزام الجريدة بالإعتذار الرسمي على صفحاتها، وتغريمها أكثر من ستين ألف ريال مع حق المدّعي بالتظّلم لدى ديوان المظالم. وحسب اللجنة فإن ذلك الخبر غير صحيح، وأن الصحيفة تسببت في تشويه سمعة الرجل، وختم العودة مذكرة بمطالبة الجريدة بنشر اعتذار صريح يتفق على صيغته في الصفحة الرئيسية وبنفس العبارات وعدد الكلمات التي كتبت بالخط العريض في الخبر.

> **هل يمكن لقادة العمليات القتالية باسم الجهاد أن يفهموا كلام العودة على غير ما أراده، وإن كان كذلك لماذا لم يقم بمراجعة شاملة لتراثه العنفي؟**

نلفت هنا الى أنها ليست أول مرة يخالف الشيخ سلمان العودة كل إرثه التحريضي، ويطالب خصومه، وضحاياه، والمراقبين من ورائهم بتقديم دليل واحد على صدق زعم خضوع أحد تحت تأثير أفكاره وأدّت به الى الإنخراط في جماعات متطرّفة أو وقع ضحية في ميدان قريب أو بعيد. وقال في محاضرة له بعنوان (الكلمة الحرّة ضمان، ص ٢٣): (هل سمع أي إنسان أو يستطيع أن يثبت أيا كان موقعه وأيا كان رأيه أن هناك لا أريد أن أقول من حمل مسدساً، بل من ضُرب ضرباً حقيقيا بسبب ما كنا وغيري نطرحه من اجتهادات أو آراء أو كتب وأشرطة؟ في حدود علمي أنه لم يوجد شيء من ذلك..).

حسناً، وقفة عند سيرة يوسف العييري، ومؤلفاته، وهو أحد رؤوس التكفيريين الكبيرة في بلاد الحرمين، والمتورط بعمليات إرهابية، وقد قُتل في أحد المواجهات الأمنية، وأثنى عليه أسامة بن لادن وعلى أحد مؤلفاته في وقت سابق (أنظر شريط شهداء المواجهات، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي ـ الموزّع الرسمي لأشرطة تنظيم القاعدة)، تكشف بوضوح تام بأن العييري كان يقرّ بأنه أحد المنتسبين لتيار الصحوة الإسلامية السعودية والتي يُرجع (=العييري) فضل إنتشارها لسلمان العودة، يقول العييري: (فنحن نعلم يقيناً أن صحوتنا المباركة بصوتكم ـ أي صوت العودة ـ سمع نداءها، وبمجهودكم غيرت الواقع، وبفكركم وتوجيهكم إتّزن نهجها، فلكم الفضل بعد الله فوق فضل غيركم من العلماء والدعاة فيما حققته هذه الصحوة، علماً أنا ما تعلمنا المنهج إلا من فضيلتكم..)، والرسالة مثبّتة بصورة كاملة في موقع العييري في الإنترنت تحت عنوان (نصيحة الشيخ يوسف العييري للشيخ سلمان العودة بعد خروجه من السجن).

ويعلّق سعود القحطاني في الحلقة الأخيرة من دراسته حول (الصحوة الإسلامية السعودية) والتي نشرها موقع (إيلاف) في ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٣ (فالمنهج الثوري الذي زرعه العودة وأقرانه من مشايخ الصحويين في قلب العييري وأمثاله من الشباب أكبر من أن يتزحزح لأي سبب كان).

يذكّر العييري أستاذيه سفر الحوالي وسلمان العودة وغيرهم قائلاً (..ألم توصلوا لنا سابقاً أن

هذه الحكومات هي دمى بأيدي العدو؟ ألم تقولوا لنا سابقاً بأن الاستعمار المباشر زال، وفرض علينا استعماراً غير مباشر عن طريق هذه الحكومات العميلة؟ ألم تحشوا رؤوسنا من قبل بأن أخطر خطر على الأمة هذه الحكومات التي تنفذ إرادة العدو؟ ألم تقولوا لنا بأن هذه الحكومات حرب على الإسلام؟ ألم تكفروا هذه الحكومات وتناقشوا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بكفر هذه الحكومات في شريط مسجل؟ بالأمس ترفضون الاعتراف بشرعية هذه الحكومات ومنها الحكومة السعودية، وتكفرونها ولازالت كتبكم وأشرطتكم شاهد عليكم حتى الآن..). أنظر (يوسف صالح العييري، الحملة العالمية لمقاومة العدوان زيف وخداع وشعارات كاذبة، ص ١٦ – ١٧).

وكتب الشيخ إبراهيم بن سليمان الربيش بحثاً نقدياً في فكر الشيخ العودة بعنوان (د. سلمان العودة خلال عشرين عاماً) بتاريخ ٢٢ شوال ١٤٣٠. وجاء فيه: (رأيت في أحد المقاطع سلمان ـ العودة ـ يقول عن الذهاب إلى العراق: ((ليس بواجب بل ليس بفاضل بل ليس بمشروع)). ثم تابع ليقول في نسيان مستغرب، أو كذب مفضوح تفضحه أشرطته القديمة: ((حتى في أفغانستان ما كنّا نرى ذهاب الشباب إلى هناك!!!))، أن ينسى الإنسان ماذا قال هذا وارد، لكن الذي لا يرد أن ينسى رأيه كيف كان، ترى أين ((حي على الجهاد)) وأخواتها من المحاضرات؟).

ويضيف: (رأيت سلمان وهو يتبرأ من المجاهدين في كثير من المواطن، رأيته يتكلّم فيهم وقد كان بإمكانه أن يسكت بناء على قاعدته التي علمناها (لك الغنم وليس عليك الغرم)، رأيت سلمان يستغل الفرص ليطعن فيهم، بل ربما تكلم بدون مناسبة، رأيت سلمان وهو يتتبع عثرات المجاهدين، ويتكلم في قادتهم، ويصدق فيهم بيانات وزارة الداخلية وقنوات البهتان، أو في أحسن الأحوال يحكم عليهم بناء على سماعه من طرف واحد، يتكلم فيهم وهم معرضون عنه تمام الإعراض).

ومازال يحفظ الصحويون نصاً واضحاً للشيخ العودة ورد في محاضرته بعنوان (حي على الجهاد) قال فيه: (فمن السذاجة بمكان أن نتصور أن الطبيعة التي حكاها الله – عز وجل – عن الكفار واليهود والنصارى والمشركين في القرآن الكريم، يمكن أن تتغير)، ووصف في محاضرة له بعنوان (رسالة إلى رجل الأمن) الجيوش في الدول المتاخمة للدولة العبرية بقول: (أسودٌ أشاوس على الضعفاء من بني جلدتهم أو بلادهم أو من جيرانهم، ولكنهم حملانٌ وديعة أمام عدوهم الحقيقي الشرس من اليهود أو النصارى).

وقد ثبّت الشيخ ناصر الفهد، أحد شيوخ تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية، والذي تم إلقاء القبض عليه في العام ٢٠٠٤ وأجريت معه مقابلة متلفزة يعترف فيها بالتراجع عن أفكاره التكفيرية ضد الدولة، مقولات للشيخ العودة مثّلت معالم في طريق الجهاد السلفي. وقال الفهد (فقد كانت له ـ أي للعودة ـ محاضرة قبل سجنه بعنوان: لماذا يخافون من الإسلام؟ قرّر فيها بكلام جميل دور الجهاد في إخافة أعداء الله من الكفار، ثم رد وبالغ في الرد على من سماهم بالسذج من المفكرين الإسلاميين ممن يظنون أن الإسلام سينتصر بالكلمة و الدعوة و الحوار ولن ينتصر بالسيف والجهاد)، ثم علّق الفهد على ذلك: (فانظر كيف بلغ به الحال ليس إلى مجرد ترك الدعوة إلى الجهاد أو تمجيده أو تقريره، بل إلى إنكار الصدام و الصراع و لغة القوة – وهذه كلها تعني الجهاد – والتبرؤ منها، وأنها لا تبني أجيال المستقبل ولا الخير للبشرية، بل الذي يبني هذا الحوار! وزعم بأن هذه شريعة الإسلام! وكانت له محاضرات عن الجهاد وقتال الكفار منها صناعة الموت و حتمية المواجهة، ولكنها انقلبت الآن إلى حتمية الحوار وصناعة التعايش!) أنظر: ناصر الفهد، طبيعة التنكيل بما في بيان المثقفين من الأباطيل، ص ١٤

في نفس المحاضرة التي أصبحت رسالة بعنوان (لماذا يخافون من الإسلام) يجيب الشيخ العودة في (ص ١٢) على سؤال افتراضي: هل لو عرض الإسلام بتجرد ووضوح ونقاء وبأسلوب ناجح وقوي للعالم كله، أليس من المتوقع أن يسلم أكثر الناس؟ فيجيب قائلاً: (بلى، ولكن هذه فرضية، ولاتعني أنهم أصبحوا بمجرد هذا الافتراض مسلمين، كلا، فالتاريخ كله تاريخ الحرب مع الكفار،

الشيخ طلال الدوسري: الشيخ سلمان لم يحذر القراء من أشرطته السابقة وهي منشورة ومفرغة حتى الآن عبر شبكة الانترنت

والواقع –اليوم وأمس– هو واقع التوتر الدائم الذي يتوجس فيه كل الطرفين من الآخر). ويضيف (فإذا قال بعض الغربيين –مثلاً–: موقفنا من الإسلام هو موقف تسامح، فهو يقصد بذلك كسب الوقت، وإذا قال بعض المسلمين أيضاً – في الغالب– أن الإسلام لايبغض الغرب ولا يكرهه، وإنما يسالمه ويهادنه، فالواقع أن هؤلاء المسلمين يدركون في قرارة أنفسهم أن الإسلام له موقف آخر لو كان يملك القوة التي يواجه بها الغرب).

ويعيب في محاضرته (حي على الجهاد ص ١٨ ـ ٢١) على بعض (الفقهاء والمفكّرين المعاصرين) طرحهم (قضية الجهاد طرحاً ميتّا متماوتًا مخذولاً مهزومًا، يقول لك: الأصل المسالمة مع الكفار، والأصل أننا ندعو وننشر الإسلام بالحكمة، والموعظة الحسنة، وبالسلم وبالدعوة السلمية، وما على شاكلة هذه التعبيرات؛ بل أصبح كثيرا –لا أقول من عامة الناس؛ بل من دعاة الإسلام مع الأسف في هذا العصر– يتصورون أننا في دعوتنا الناس جميعًا للإسلام ينبغي ألا نسلك إلا هذا الطريق، ولا نحتاج إلى رفع راية الجهاد، ولا نحتاج إلى حمل السيوف للقتال، يتصور بعض المغفلين مثل هذا الأمر. والواقع أن من يقرأ القرآن الكريم قراءة واعية لا يحتاج إلى أي كلام ولا بيان ليظهر له بطلان ذلك..). وشدّد على مبدأ الولاء والبراء الذي يجهله كثير من العلماء (يجهلون وجوب عداوة الكفار والبراءة منهم، فلا يعرفون الولاء والبراء؛ بل قد تجد المسلم يعيش إلى جنب اليهودي والنصراني والمشرك والشيوعي سواءً بسواء، وتحت سقف واحد، يأكلون طعامًا واحدًا، ويعملون في عمل واحد، وبينهم من الألفة والمودة الشيء العظيم كأنهم إخوة، فحتى عوام المسلمين اليوم ضاعت منهم معاني الولاء والبراء، وفقدوا إحساس التميُّز بالدين).

وطالب العودة في هذا الصدد بوجود (حركة جهادية تصنع الإعلام الإسلامي، الذي يكون بديلاً عن الإعلام المنحّل)، وطالب في الوقت نفسه بفضح كتبة المقالات المضللة والمؤلفات الهدّامة، واذا لزم الأمر التشهير بهم. (محاضرة حتى لا تغرق السفينة، ص ص ٣٠،٣٧) وقال كلاماً مماثلاً عن جهاد المنافقين وكشف ألاعيبهم وفضحهم، وبيان مؤامراتهم. والمنافقون من وجهة نظره هم من (يسعون لتوجيه هذا البلد أو هذه الدولة أو تلك المؤسسة أو المدرسة إلى الوجهة التي تخدم أغراضهم، فيخططون ويتآمرون، وهذا أمر ملموس. فمَنْ لهؤلاء المنافقين؟ وكيف نتجاهل هذه الثغرات المفتوحة في كل مكان؟). وقال في محاضرة له بعنوان (أسباب سقوط الدول) (نحن نغزى منذ سنين ويحفر لنا في جوانب عديدة، في جانب السياسة، الاعلام، الصحافة، الراديو، الاذاعة..حتى انك اذا استمعت الى بعض البرامج في اذاعة المملكة سواء كانت اذاعة الرياض او اذاعة البرنامج الثاني، والله لتقول ان هذه الدولة ـ السعودية ـ وكأنها لاتدين بالاسلام..والمخطط جاري منذ سنوات).

إن لم تكن تلك المواقف القاطعة لدى الشيخ العودة محرّضات على الفعل القتالي، فماهي إذن المواقف التي يمكن تصنيفها في أدبيات القتال؟ وهل يمكن لهؤلاء الذين قادوا العمليات القتالية بإسم الجهاد أن يفهموا كلام العودة على غير ما أراده، وإن كان كذلك لماذا لم يقم بمراجعة شاملة لتراثه الثوري كما يصفه الغامدي سالف الذكر. ونختم بما نقله أحدهم في شبكة الانترنت عن وثيقة صوتية تثبت بأن الشيخ العودة لم يتراجع، بل هي مجرد (استراحة محارب) حسب وصف الشيخ طلال الدوسري، وجاء (أن الشيخ سلمان لم يحذر القراء من أشرطته السابقة وهي منشورة ومفرغة حتى الآن عبر شبكة الأنترنت وبعضها في مواقع محجوبة تعلن تكفير البلاد السعودية).

ماذا بعد..

وخسرت السعودية حرب اليمن

هاشم عبد الستار

كما كان متوقعاً.. خسرت السعودية حرب اليمن.

ربما يجادل البعض بأن الخسارة لم تقع بعد، وأن من المبكر الحديث عن ذلك. لكن الوقائع التالية تفيد بخسارة الحرب سياسياً وإعلامياً وعسكرياً.

على الصعيد العسكري، فشلت السعودية في تحقيق أي منجز، وفقاً للأهداف التي رسمتها:

- إيقاف المتسللين، وتحرير الأراضي السعودية، ثم..
- إنهاء الحوثيين وتدميرهم، ثم..
- إبعاد الحوثيين الى عشرات الكيلومترات داخل الحدود اليمنية، وصناعة منطقة عازلة منزوعة البشر والسلاح، ثم..
- العودة الى تحرير المزيد من الأراضي السعودية المحتلة.

لم يخسر الحوثيون أرضاً حتى الآن، بل زادوا من مساحة المواقع السعودية المحتلّة التي يأتي منها إطلاق النار والقذائف: فإضافة الى جبل الدخان، هناك جبل الرميح، وجبل الدود، وموقع الجابري وغيرها. وقد أثبت الحوثيون صمودهم في كل هذه المواقع بل دخلوا مراراً الى العمق السعودي، وقصفوا دار الضيافة في مدينة جازان. وعبثاً حاول السعوديون استعادة تلك المواقع، وأعلنوا مراراً أنهم فعلوا ذلك وطهروا تلك الأراضي، لكن ما لبث أن تحدثت في بيانات عسكرية لاحقة عن حرب تدور في تلك المواقع، فضلاً عن قصف المدنيين اليمنيين في مجازر متواصلة حتى الآن، تم تسجيلها بالصوت والصورة.

وبعد فشل القوات السعودية، جيء بمرتزقة من الجيش اليمني، حتى لا يخسر السعوديون رجالهم، ولأن الدم اليمني رخيص، ومنحوا المقاتلين في الجبهة السعودية رواتب عالية (١٢ الف ريال سعودي لكل مقاتل شهرياً) بحيث يكون هؤلاء في مقدمة الزحوف العسكرية، تدعمهم طائرات الأباتشي والمدفعية. ومع هذا، فشلت كل تلك المحاولات، بل فشل الإنزال من الجو في استعادة أي موقع حتى الآن.

الحسم خلال اسبوع أو أيام الذي بشرت به السعودية مضى على اعلانه أشهراً ثلاثة دون أن يرد في الأفق ما يشير الى أنه سيتحقق قريباً. ومع أن السعوديين بحاجة الى استرداد المواقع العسكرية لاستثمارها في المفاوضات القادمة، إلا أنهم أثبتوا عجزاً صار مادّة سخرية من قبل الجمهور السعودي نفسه. ثم جاء خالد بن سلطان وقال انه حرر جبل الرميح، ثم عاد وقال بأن العمليات العسكرية الكبيرة انتهت، ثم عاد جيشه وقال بأنه حرر موقع الجابري، ثم قال أنه حرر جبل دخان، دون أن يستطيع إثبات ذلك، ولو بلقطة مصورة.

لا الجيش اليمني، ولا الجيش السعودي قادر على حسم المعركة، ولا حتى على إضعاف الخصم الحوثي.

وإزاء هذا لا يمكن وصف الوضع إلا بأن السعودية خسرت حربها، خاصة وأنها أعلنت بأنها ستقيم منطقة عازلة في أراضيها، وليس في الأراضي اليمنية، وذلك عبر تدمير مئات القرى السعودية في منطقة جازان من أجل تشكيل تلك المنطقة، وبناء مساكن جديدة للسكان، الذين يعيشون كثير منهم في المخيمات، وقد أعلن الملك أثناء زيارته الأخيرة لجازان، عن عزم الحكومة بناء آلاف الوحدات السكنية للذين تم تهجيرهم قسراً بلا دواعي أمنية أو عسكرية، وإنما للنهب الملكي.

إعلامياً، تمّ شلّ الإمبراطورية الإعلامية السعودية، إذ أصبحت تلك الإمبراطورية في وضع بائس، بسبب الهزائم السعودية على الأرض، ولم يكن بإمكانها الترقيع. فكيف يكون هناك جيش سعودي تصرف عليه المليارات من الدولارات سنوياً، ويأكل ما يقرب من نصف ميزانية الدولة كل عام، ثم لا يستطيع هذا الجيش القضاء على (حفنة ضالّة عميلة من الحوثيين) كما يسميها الإعلام السعودي؟.

أياً كان الحال، فإن من الثابت حتى الآن أن السعودية لم تحقق أهدافها من الحرب، بدليل استمرارها، وصمود الحوثيين حتى الآن. والسؤال ما هي الخسائر السعودية التي وقعت أو التي يتوقع حدوثها؟

بغض النظر عن الكلفة المالية والبشرية للحرب السعودية (اعترفت الأخيرة بمقتل ٨٢ جندياً، و٢١ مفقوداً، و٣٩ جريحاً، فيما يؤكد الحوثيون أن الأرقام الحقيقية تزيد بعشرات الأضعاف مما تم الإعتراف به). بغض النظر عن هذا، فإن الخسائر السياسية أكبر من غيرها، ويمكن جرد الخسائر السعودية على النحو التالي:

×× على الصعيد المحلّي، فإن خسارة آل سعود للحرب، ضيّقت من مساحة الشرعية للنظام السياسي. فالهزيمة لا بدّ أنها خلقت روحاً مضادّة للنظام وأدائه.

وقد تبيّن ان التعاطف القليل والأولي مع النظام في حربه رغم عدم وضوح مبرراتها، انقلب عليه، الى تمنّي هزيمة الجيش السعودي نفسه، ولذا لا تجد أحداً متحمساً للحرب أو يريد الإنتصار فيها غير مجموعة الوهابية، الذين استقدم مشايخهم للحض على الجهاد! في الجبهات ضد الحوثيين. الأكثرية تجد أن النظام لم يصنع جيشاً وإنما مرتزقة تبحث عن الرفاه والمال والأعطيات، ولا يستطيع أفراد ذلك الجيش أن يخوضوا حرباً يدافعون فيها عن الأرض. زد على ذلك فإن النقمة من آل سعود وسياساتهم وحتى على النجديين عامة (عدا حائل) من قبل المناطق الأخرى معشعش في الذاكرة التاريخية، فالجيش الوهابي هو الذي أقام المجازر في الحجاز وغيره، ولذا لا تعدم أن تسمع من يتمنى الهزيمة للوهابيين ولجيش آل سعود النجدي.

إن شرعية النظام السياسي آخذة بالتقلّص يوماً بعد آخر؛ والهزيمة تعني المزيد من التقلّص. في كثير من الأنظمة، تكون الخسارة العسكرية بوابة لتحوّل سياسي، انقلابات وثورات.. وأمامنا نماذج مصر وسوريا وروسيا والعراق وغيرها. يستطيع آل سعود إخراج الهزيمة إعلامياً على أنها نصف انتصار على الأقل، ولكنهم لا يستطيعون إقناع الجمهور المسعود اليوم بأنهم حققوا نصراً. والهزيمة تفتح الأفق على ضعف النظام، واستسخاف أدائه، وتلاعبه بالمال العام، وتطلق الألسن للحديث والسخرية منه. إن ما يحدث وسيحدث المزيد منه في المستقبل، هو ازدياد الجرأة على النظام، والزهد فيه، واستسهال معارضته، وتغيير النظرة إليه من نظام لا يقهر، الى نظام يعود الى حجمه الطبيعي، بعيداً عن آليات الدعاية والإعلام.

×× على الصعيد الخارجي، فإن الهزيمة العسكرية السعودية تأتي لتقلّص من نفوذ الأخيرة الخارجي حتى في باحتها الخلفية (اليمن). هي - أي الهزيمة - مصداق لتهافت الدور الإقليمي السعودي. مكانة السعودية هبطت بمجرد أن قبلت ان تخوض حرباً ضد الحوثيين، فما بالك بعد أن طالت الحرب وخسرت مواقع عسكرية، وثبت تعرضها للمدنيين بالقنابل والغازات المحرّمة؟ أفضل ما صنعته الحرب، أنها كشفت وضع الدولة السعودية نفسها وهزالها، وعدم قدرتها حتى في الدفاع عن نفسها. من المؤكد أن خسارة الحرب ستزيد في تسارع انحطاط النفوذ الإقليمي السعودي.

فمن جهة، لن تكون السعودية الرقم الأول في اليمن، إذ أن اللاعبين الغربيين قد دخلوا على الخط، واستلموا الملف، أو هم في صدد ذلك.

ومن جهة ثانية، فإن الحكم في اليمن لن يعود لعبة بيد السعودية منذ نحو نصف قرن، لن تجد السعودية في حال تغيّرت المعادلة السياسية بناء على المعطيات الحالية، حاكماً مثل علي عبدالله صالح يستخدمونه أداة طيّعة لهم، خاصة وأن من صنّفتهم السعودية كأعداء لها سيكونوا شركاء في الحكم شاء آل سعود أم أبوا. وسيكون لوصول مثل هؤلاء تداعيات على العلاقات مع السعودية، وعلى انتشار مذهبها الطائفي في اليمن، بسبب سيل الدماء الذي أباحه الطيران والمدفعية السعودية والمؤامرات المستمرة على مجاميع سكانية كبيرة.



ومن جهة ثالثة، فإن نتائج الميدان العسكري السلبية، هي التي جاءت بل عجلت في التدخل الغربي لإنقاذ الموقف السعودي العسكري، وكذلك انقاذ علي عبدالله صالح، ما يعني أن أوراق السعودية ستتقلص، خاصة ورقة الجنوب الإنفصالية التي تخفيها السعودية ليوم حاجتها في الضغط على أي حكم جديد في صنعاء.

ومن جهة رابعة، فإن السعودية قد تكون ضحيّة نتائج حربها في اليمن. فالوجود الغربي المتزايد في اليمن قد يجعلها أفغانستان جديدة، ويجعل من السعودية باكستان أخرى.

ومن جهة خامسة، فإن السعودية لم تخرج بمكسب سياسي من موقفها الفاشل في اليمن، ليس فقط بشأن حربها على الحوثيين، بل وأيضاً موقفها من القوى السياسية الأخرى ومن الجمهور اليمني الذي ضاق ذرعاً بالتدخل السعودي. زد على ذلك أن السعودية لم تعد وسيطاً في الشأن اليمني، وأن من سيكسب الوساطة لو حدثت، هي قطر أو سلطنة عمان أو سوريا، وبالطبع فإن كل ذلك سيجري على حساب السعودية ونفوذها.

يخلص من كل هذا، أن خسارة الحرب في اليمن، قد يقود الى انهيارات سياسية سعودية على المستويين المحلي والخارجي، ويجعل من الدولة السعودية دولة منبوذة بقدر ما، فلن تجد كثيرين يطلبون دعمها، أو مساندتها، لأنها بعبارة صريحة: دولة بحاجة الى عون الآخر الخارجي!

ما جرى في اليمن، مجرد دليل آخر على أفول الدور الإقليمي السعودي، وعلى أن هناك انهيارات كبيرة في بنية النظام السياسي السعودي، تجعله معوّقاً معطلا، يتحرك على مساحة السياسة بدون رشد أو حكمة.

د. يماني، ود. الرشيد في ندوة عن السعودية

هزيمة منكرة للمدافعين عن آل سعود في مجلس اللوردات

محمد قستي

كانت مواجهة في ندوة مفتوحة، بين أكاديميتين إحداهما من نجد والأخرى من الحجاز، يرفضان أن ينسبا الى (السعودية) وهما: د. مضاوي الرشيد، ود. مي يماني.. وبين ثلاثة غربيين بريطانيين يشكلون فريقاً للدفاع عن آل سعود وسياساتهم، هم: روبرت ليسي، الصحافي الملكي، وصاحب كتابين تمجيديين عن السعودية، صدر أحدهما مؤخراً تحت عنوان: (داخل المملكة)، وعضو البرلمان البريطاني عن المحافظين دانييل كاوزينسكي، وتوماس مايكل مدير عام رابطة الشرق الأوسط.

مكان المواجهة كان في مجلس اللوردات، حيث إقيمت ندوة نظمتها (جمعية التواصل/ Society Outreach) تحت عنوان: هل السعودية مستعدة للدفاع عن حقوق الإنسان، والحريات المدنية ومكافحة الإرهاب؟. وقد أدار الندوة، اللورد المسلم نذير أحمد، الذي قال بعد انتهاء الندوة بأن السعودية ليست دولة تطبق الإسلام.

كان مدهشاً الدفاع المحموم من غير سعوديين عن السعودية. ليست الغرابة بالطبع في الدفاع من قبل أناس يميلون الى الموقف السعودي، لسبب مادي أو آخر، ولكن طبيعة الدفاع جعلته بمثابة دعاية فجّة للسعودية وآل سعود. مدهش حقاً، أن الأكاديميتين المنتميتين الى السعودية، يندّدان بانتهاك حقوق الإنسان في بلدهما، ويدينان النظام السعودي التسلّطي، في حين يقوم الثلاثة الآخرون ـ ومن بلد عريق في الديمقراطية ـ بالدفاع المستميت عن النظام السعودي، مستخدمين كل ما يروجه النظام، وكل مبرراته المعروفة، وكأن السعودية بلدهم!

رجال السعودية الحمر يبجلّونها!

بدأت الندوة بأول كلمة لروبرت ليسي، الذي لاك ما يقال من الأمراء عن (ديمقراطية الصحراء) ورغبة الحكومة السعودية في الإصلاح، وعن التطورات العظيمة وعلى كل الأصعدة هناك! ليسي الذي عاش الاعوام الثلاثة الماضية في السعودية قبل ان يظهر كتابه الأخير، هو نفسه الذي قضى خمس سنوات من قبل حتى ظهر كتابه الأول (المملكة) بداية الثمانينيات الماضية. ليسي الذي يوصف حتى على الصعيد البريطاني بأنه ملكي (Royalist) انتقد مقاربة الموضوع الحقوقي في السعودية، وقال بأن كل دولة في العالم تهتم بحقوق الإنسان والحريات المدنية وتكافح الإرهاب! وقام ليسي بتوزيع (النظام الأساسي في الحكم/ الدستور) في السعودية مترجماً الى الإنجليزية، مدافعاً بلغة سعودية، رغم أنه مسيحي محافظ، من أن (الدستور السعودي مستوحى من القرآن والشريعة الإسلامية). كما دافع ليسي عن دور السعودية في مكافحة الإرهاب، معدداً النجاحات التي تم تحقيقها! ومن بينها برنامج الحكومة فيما سمته بالمناصحة، والذي أدّى الى اطلاق عشرات من العنفيين عادوا مرّة أخرى الى

مايكل توماس: إننا أمام بلد يحاول أن يحسّن من نفسه، وإن لم نساعدهم، فإن البديل سيكون طالبان، فهل تريدون ذلك البديل؟

الالتحاق بالقاعدة، خاصة في اليمن!

وفي ذات الإتجاه الدعائي الفجّ للسعودية تحدث مايكل توماس الذي قال بأنه يتعامل مع السعودية منذ ٣٥ عاماً في الميدان التجاري، مضيفاً بأن السعودية تطورت الآن وتقدّمت كثيراً في شتى المجالات. وأراد توماس اقناع الحاضرين بأن لا يستخدموا المعايير الحقوقية العالمية نفسها (والتي وقعت على معاهداتها السعودية أو بعضاً منها) مشيراً الى ضرورة


ندوة تنديد بسجل السعودية الحقوقي

التفريق ما بين النموذجين الغربي والشرقي في كيفية تقييم حقوق الإنسان والحقوق المدنية. بمعنى أنه لا يؤمن بمعيارية دولية بُنيت عليها العلاقات الدولية، والمواثيق التي أقرّتها الأمم المتحدة. ولأن هناك دعوات كثيرة تطالب بالإصلاحات في السعودية، على الأقل خشية أن تؤدي المنتجات الفكرية المشوهة الى تخريج دفعات من العنفيين يجوبون العالم مفجرين ومخربين، فإن توماس أراد من الغرب أن لا ينتقد الحكومة السعودية ليس فقط في سجلها الحقوقي البحت، بل وأيضاً في سجلها المتعلق بالحريات المدنيّة، مضيفاً أنه من (الخطأ فرض قالب غربي على مجتمع شرقي).. وهذا هو محور دفاع السعودية عن نفسها إزاء الإنتهاكات والقمع والتسلّط.

ويقول توماس محذراً: (ما أسمعه في هذه الجلسة من حديث عن حقوق الإنسان وغيره بالشكل الغربي، ومحاولة فرضه على دولة إسلامية كالسعودية أمر غير مقبول، لأن الوضع مختلف تماماً.. إننا أمام بلد يحاول جاهداً أن يحسّن من نفسه، ويصنع مجتمعاً أفضل، وإن لم نساعدهم، فإن البديل سيكون طالبان. فهل تريدون ذلك في قلب الشرق الأوسط؟).

السؤال اذا كان يجوز للسعودية أن تفوز بنظرة ورعاية مختلفة باعتبارها بلداً شرقياً، بحيث يبرّر ذلك من انتهاكاتها لحقوق الإنسان وقمع الحريات، فلماذا لا يحدث ذات الشيء حين النظرة الى بقية دول العالم العربي

والإسلامي؟! ثم إن السعودية واحدة من مصنّعي طالبان، ومنتجها الأيديولوجي هو الذي يسود الطالبانيين.

النائب البريطاني المحافظ ذي الأصل البولندي، ورئيس اللجنة البرلمانية المشتركة للعلاقات البريطانية السعودية، دانييل

النائب كاوزنسكي: أعلنها بكل فخر، بأنني سأواصل الدفاع عن السعودية في وجه أعدائها في بريطانيا.. لأنها حليف مهم لبلادي!

كاوزنسكي بلغ بكلمته السماء في الدفاع عن السعودية.

خاتمة كلمته كانت ـ وكأنه عضو شورى سعودي معيّن: (أعلنها بكل فخر، بأنني سأواصل الدفاع عن السعودية في وجه أعدائها في بريطانيا.. لأنها حليف مهم لبلادي المملكة المتحدة)!

بدأ النائب المحافظ باتهام زملائه النواب في البرلمان البريطاني بالجهل فيما يتعلق بالشأن السعودي، وقال أنهم (يتأثرون بما يقرأون في الصحف البريطانية المنحازة عن



جانب من النقاش

تجاوزات حقوق الإنسان في السعودية) بل وزاد على ذلك بأن دعا الى الإهتمام بحقوق الإنسان في أوروبا قبل دعوة السعودية الى ذلك. وقال أن أجهزة الأمن البريطانية تتعاون مع نظيرتها السعودية وبشكل وثيق في مكافحة الإرهاب، محاولاً تبرئة الحكم السعودي من أنه بسياساته وبتطرف مسؤوليه يدعم الإرهاب وينشره الى الخارج بما في ذلك بريطانيا.

وبلغت حماسة النائب المحافظ حدّها حين قال: (يا للعار أن نجلس هنا في لندن لننتقد بلداً إسلامياً وشرق أوسطياً فيما يتعلق بحقوق الإنسان والحريات الدينية، في حين أنه في قلب أوربا الغربية.. في سويسرا الحرة فإنه قد صدر قرار مشين ومهين يمنع المسلمين من بناء المنارات والمآذن لجوامعهم! لسنا كاملين في أوربا.. فكيف نعطي أنفسنا الحق لنحاكم الآخرين ونجرمهم؟)!

نعم إنه كلام حقّ يراد به الدفاع عن الباطل السعودي. وإزاء هذا ردّ اللورد أحمد بصورة مبطّنة بأن جمعية تواصل سبق وأن ناقشت سياسات اسرائيل، وأن لا أحد فوق النقد في مجتمع حر مثل بريطانيا.

لكن يفهم من النائب المحافظ أنه يدافع عن مصالحه، وعن مجموعة النواب الذين يسافرون الى السعودية ليروا انجازات آل سعود على الأرض، ليعودوا محمّلين بالهدايا، وليدافعوا عن سياسات آل سعود. لم يكن النائب المحافظ بحاجة الى تذكير مستمعيه (وقد فعل) من أنه يسافر الى السعودية بانتظام، وأنه يصطحب معه الكثير من النواب ورجال الأعمال والمثقفين البريطانيين، وفي كل مرة ـ حسب رأيه ـ يعود هؤلاء بصورة مختلفة عن السعودية، مغايرة لتلك التي رسّخها الإعلام الغربي في أذهانهم منذ سنوات!

مثل هذا القول يفضح نفسه من أنه أصبح ضمن اللوبي السعودي في البرلمان البريطاني، خاصة وأنه أضاف: (لا يمكن بحال وصف الطيبة واللطف والكرم الذي يتمتع به السعوديون حكومة وشعباً، وآخر من اصطحبتهم كان رئيس حزب الليبراليين الأحرار السابق الذي عرف بنقده للسعودية).

هذا ليس كلام نائب، بل هو أقرب ما يكون الى كلام موظف سعودي، خاصة حين يزايد على السعوديين أنفسهم في التبرير للإستبداد بالقول: (خادم الحرمين الشريفين يريد التغيير ويريد الإصلاح بأكثر مما نريده نحن، لكنه مضطر بأن يأخذ في الحسبان آراء الشعب، وخاصة المحافظين، عليه أن يكون حذراً، وأن تكون التطورات بطيئة حتى لا يفسد المشروع الإصلاحي). هذا الكلام إذا لم تعرف مصدره ستعتقد أنك تستمع الى أمير سعودي محاصر بأسئلة جمهور يطالب بالحرية!

عاصفة مضاوي ومي!

بدأت د. مضاوي الرشيد الأستاذة في كينغز كوليدج (جامعة لندن) حديثها معبّرة عن اندهاشها من تصدي ثلاثة غربيين ـ وبشكل متطرف ـ للدفاع عن بلد مثل السعودية في بلد مثل بريطانيا يعلي من قيمة الإنسان وحقوقه، ومستعد أن يناقش كل مشكلاته بشفافية. وتساءلت: لماذا تكون السعودية فوق النقد؟

وأضافت أن بعض الغربيين، مثلهم مثل المستشرقين الأوائل، إذ يعجبهم أن يقدّموا صورة حالمة للصحراء العربية ولشيخ القبيلة العادل، ولنمط حكم بدوي بسيط لا تعقيد فيه، مبني على حكم الشريعة الصارمة والعادلة، وتعيش بفضله المجتمعات حياة سعيدة وهانئة.

وتابعت بأنهم أيضاً يقدمون صورة لشعب مريض متخلف.. ابتليت به حكومة رشيدة لا تعرف ماذا تفعل لتقوده نحو التطوير ونحو

نائب بريطاني محافظ يصف انتقاد سجل السعودية الحقوقي بأنه عار، ويفاخر بأنه ينظم زيارات لبرلمانيين وغيرهم من أجل تحسين صورة آل سعود

مصلحته دون أن تثير مشكلات وزوبعات! وأكملت: (ان السعودية، ومنذ زمن، اعتمدت على الاعتذاريين والمروجين لمواقفها بين الكتاب والصحافيين العرب والغربيين لكي يعطوا صورة جميلة عن الاوضاع فيها، وعن قياداتها. وأنا أرى بان هذه الصورة مصابة بالشيزوفرينيا). ثم تطرقت الى الخرافات والأساطير التي تلقى جزافاً لصالح الحكم السعودي.

قالت: (الخرافة الاولى هي القول بأن السعودية دولة إسلامية تطبق الشريعة، والواقع هو أن الشريعة الإسلامية تستخدمها السعودية للتعدّي على حقوق الإنسان. والدين الإسلامي في السعودية يستعمل كمطية لخرق الحقوق المدنية للسعوديين، وأن القادة السياسيين يديرون رجال الدين السعوديين ويدفعونهم الى إصدار الفتاوى التي تناسب سياساتهم).

أما الخرافة الثانية، فهي اعتماد النسبة

في تقييم القيم الاخلاقية والإنسانية العالمية من قبل المروجين والاعتذاريين للسعودية. ففي القرن الـ٢١ لم يعد من المقبول الإدّعـاء بأن القيم الإنسانية التي يصلح تطبيقها في الغرب لا يمكن تطبيقها في الشرق، فهذا المنطق يبرر ممارسة التعذيب والإعتداءات على حقوق البشر في الدول المستثناة من الإنتساب الى الإنسانية العالمية الواحدة.

ورأت د. الرشيد بأن ما يقال عن (ديمقراطية الصحراء) السعودية كذبة كبيرة. وكذلك الإدعاء بأن ما يصلح للغرب لا يصلح للسعودية.. فهذا

د. الرشيد تتساءل بدهشة: لماذا السعودية فوق النقد؟ ولماذا يتصدّى ثلاثة غربيين وبشكل متطرّف في الدفاع عنها؟

كلام فارغ، فالاعتقالات التعسفية والمنع من السفر يرفضها الناس في السعودية كما الغرب ولا توجد خصوصية هنا.

وأضافت بـأن جمعيات حقوق الإنسان في السعودية هي جمعيات أنشاتها الحكومة نفسها، وهـي تناقش القضايا الإجتماعية وليس السياسية.. وهي لا تتحدث ولا تدافع عن سجناء الـرأي.. موضحة أن برامج إعـادة التأهيل الحكومية للإرهـابيين، باسم برنـامج المناصحة، فشلت في تجفيف مصادر العنف فكرياً، لأن عقيدة العلماء في السعودية علمت الشباب منذ قرون بأن الجهاد حلال في أراضي الغير، حـرام داخـل السعودية، واعـتبرت ذلك نفاقاً علمياً؛ وأكـدت أن كثيراً من المشكلات العالمية الـكبرى تنبع مـن السعودية، فهي الراعية الرسمية للإرهـاب العالمي، خاصة وأن غياب الحريات يولد الإرهـاب والعنف!

وخلصت د. الرشيد الى أن (منظمات حقوق الإنسان العالمية فضحت ممارسات السعودية في مجـالات التعذيب وتوقيف الآلاف تعسفاً تحت أنظار العالم والمجتمع الدولي، الذي يغض الطرف عن ذلك لحماية مصالحه مع النظام السعودي).

والخرافة الثالثة، هي أن القرارات الأساسية في السعودية يتخذهـا مجلس شورى مؤلف من الأطياف المختلفة للمجتمع، والواقع أن القرارات السعودية تتخذهـا طغمة أو مجموعة صغيرة من الأمراء النافذين الذين لا يكفون عن الإختلاف فيما بينهم.

ورابـــع الخـــرافــات ما تدعيه السعودية من أنها تكافح الراديكالية، بينما الراديكالية هي (دين الدولة السعودية) قـاصـدة بذلك المذهب الوهـابي. واضافت (الجـــهـــاد حـــسـب مـنطق الـدولـة السعودية ممنوع بداخلها، ولكنه مسموح به في خـارجـهـا). ودعـت الى (كف القيادات العالمية عن تجاهل هذه الحقائق لحماية مصالحها النفطية ولتعزيز تجارتها بالسلاح).

د. مي يماني: أمثّل صوت الآلاف من المواطنين

أما الباحثة الحجازية الدكتورة مي يماني فقدّمت مداخلة مكثّفة حملت ردّاً على رجال الدعاية السعوديين، ووزّعت ملزمة من عشرين صفحة تقريباً تحوي تقارير حقوقية دولية تندّد بسجل الحكومة السعودية واختراقاتها لمبادئ حقوق الإنسان. هذا نصّ ما قالته الدكتورة مي:

أنـا أكـاديـمـيـة، ولست مـن المعارضين، فالخلفية التي أنتمي إليها هي كوني من مكة، وأجدادي ترسّخت جذورهم في مكة على مدى أجيال كعلماء، كانت لهم صولات في حلقات العلم والمعرفة في المسجد الحرام، وتصنيف الكتب في الفقه. والدي أيضاً هو محامي، وعالم، ومؤلف، وقد لعب، كما تعلمون، دوراً جوهرياً في سياسة النفط السعودية خلال عقود. وعليه، فأنا بنت تلك الأرض.

في ضوء ما سبق حيث تأخذ المناظرة حول حقوق الإنسان والحريات المدنية في السعودية موضعها، فقد تلقيت رسائل الكترونية من أشخاص عـاديـين مـن السعودية، بعضهم طالبات سابقات لي حين كنت محاضرة في جامعة الملك عبد العزيز في جـدة. وكانت الرسائل تنطوي على دلالات تحفيزية، ومؤثّرة. فقد طُلِب مني أن أكون صوتهن أمامكم اليوم.

ويجب علي إبلاغكم بكل صراحة بأنه بعد طبع كتابي (هويات متغيّرة: تحدي الجيل الجديد في السعودية) والذي حوى مجموعة من المقابلات مع الشباب والشابات السعوديين تحدّثوا خلالها عن تطلعاتهم، واحباطاتهم، وآمالهم.. اعتقدت ـ وبصفتي أكاديمية ـ بأن الكتاب كـان مساعداً للحكام كيما يفهموا



اللورد أحمد ود. يماني

رعاياهم الشباب، وذلك شيء أساسي إذا ما كانوا جادّين في موضوع الإصلاح. ولكنني أبلغت مـن قبل السلطات السعودية بأنني بحاجة للمرور عبر (إعـادة تأهيل تعليمي) في المملكة. إعـادة التأهيل التعليمي هي في أيدي سلطة قضائية سريّة جداً. للمعلومات حول (إعـادة التأهيل التعليمي)، أحيلكم إلى تقارير منظمة العفو الدولية. وبعد كتابي: (مهد الإسلام: البحث عن الهوية الحجازية)، تم طبع كتاب من قبل وزارة الداخلية السعودية بعنوان: (هويتنا ومغالطات مي يماني)، يرصد أخطائي الكثيرة، التي قد تكون صادمة جداً للبوح بها في هذه الصالة الجميلة.

أعـرف أكاديميين سعوديين الذين بسبب

السعودية تعتمد على الاعتذاريين والمروجين لمواقفها بين الكتاب والصحافيين والغربيين لكي يعطوا صورة جميلة عن الأوضاع فيها، وعن قياداتها

كتابة مقالة، تعرضوا إثرهـا لستين جلدة، اعتبرتها السلطات بأنها (رادعـة). لقد كتبت دزيّـنـة مـن المـقـالات التي نشرت في بلدان عديدة إضافة إلى كتبي، ولا أعتقد بـأن لدي ظهراً يمكنه تحمّل عدد الجلدات المطلوبة لـ (الردع). فـ ١٠٠٠ جلدة ليس حكماً غير شائع بـالنسبة للمؤلّفين والمذيعين، على سبيل المثال، حالة عبد الجواد الذي حكم عليه ١٠٠٠ جلدة

خلال خمس سنوات من اعتقاله بتهمة (الدافع لارتكاب إثم). أنظر تقرير هيومان رايتس ووتش. في فبراير ٢٠٠٨، تمّ الحكم على الدكتور أبو رزيزة، محاضر في جامعة أم القرى بمكة، ١٨٠ جلدة والسجن لمدة ستة شهور بسبب تناوله الكباتشينو في مقهى ستاربكس مع طالبته التي لم تكن بصحبة محرم.

وعليه، فإنني الآن إذ أعطيكم أوراق اعتمادي للعمل كصوت للمثقفين المكبوتة

د. يماني: أكاديمي كتب مقالة فجلد ٦٠ جلدة. لقد كتبت دزينة منها وعدداً من الكتب. لا أعتقد بأن ظهري يتحمّل عدد الجلدات المطلوبة لـ (الردع)!

أصواتهم في السعودية، دعوني أحدد بصورة عامة هواجسهم ومخاوفهم. بعض هؤلاء معروفون، وآخرون لا يرغبون بأن تكشف هوياتهم لأسباب واضحة. فحين يتحدّثون عن حقوق الإنسان، يذكّروني بقول الخليفة عمر بن الخطاب: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

إن موضوعة الحرية تهيمن على خطابهم. فليس هناك حرية للتعبير. فالصحافيون والأكاديميون الذين يتجاوزون الخطوط الحمراء للرقابة يتم فصلهم من أعمالهم، ويُمنَعون من الكتابة (مثل وجيهة الحويدر)، أو يخضعون للجلد أو السجن (متروك الفالح)، أو حتى يُهدَّدون بفتاوى الموت (مثل تركي الحمد).

وليس هناك حرية اعتراض، فالتظاهرات غير قانونية، وعقوبة التظاهر هي السجن والجلد، ولكن ذلك يتوقّف على مزاج القاضي المحلي حيث ليس هناك قانون جزائي في السعودية. أنظر تقرير إتفاقية الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٩.

وليس هناك حرية عبادة، فالإعتقالات على خلفية ممارسات دينية لا تتوافق مع المذهب الوهابي المهيمن قد تؤول الى السجن. فالشيعة الذين يعتبرون مرتدّين وهراطقة مستهدّفون بصورة خاصة، أنظر آخر تقرير لمنظمة هيومان رايتس ووتش. وأن غياب حرية الممارسة الدينية تستوعب السنّة الآخرين، وهم من غير الوهابيين مثل الحجازيين من مكة. فإقامة احتفال المولد النبوي، الذي يجري في كل العالم الاسلامي، تقود إلى الحبس في السعودية.

وهناك تمييز شديد ضد المرأة، وفي ذلك تعارض واضح مع الشريعة الإسلامية. زينب، وهي بنت شابة من المدينة، كتبت لي تقول: (بصرف النظر عن عدد ناطحات السحاب التي أقيمت في الرياض، لانزال ممنوعين من مزاولة القانون، وسواقة السيارة، ومغادرة البلاد بدون إذن محرم، وحتى الولادة لا تتم بدون اصطحاب ذكر الى المستشفى، وقد أعطي المطاوعة الحق في إهانتنا أمام الملأ والتحقّق من عقيدتنا الإسلامية. ولذلك، ماهي فائدة ناطحات سحابهم! فإنها لا تعدو أكثر من نصب مصطنعة بنيت على الرمال). فاطمة من الأحساء بعثت لي هذه الرسالة: (عيّنوا إمرأة بصفة وزير تعليم، ولكن نحن بحاجة الى سواقة السيارة كيما نأخذ أبناءنا الى المدرسة. فهذا سيجلب الفائدة إلى كل النساء أفضل من تعيين إمرأة في السلّم الوزاري للإستهلاك الغربي).

لقد ضاعف الملك عبد الله من قرارات العفو الملكي في حال انكشفت للإعلام الدولي مثل قضية (بنت القطيف)، ولكن العفو الملكي في حالات أخرى في موضوعة المطالبة بالاصلاح الحقيقي في النظام القضائي لن تنجي آلاف معتقلي الضمير في المملكة.

وبحسب منظمة العفو الدولية، يوجود حالياً مابين ستة وثمانية آلاف معتقل ضمير في السعودية بدون تمثيل قانوني أو محكمة عادلة. ويخضع هؤلاء للتعذيب والحرمان من النوم. فلا يغطي قرار العفو الملكي هؤلاء الذين يخرجون من السجن، ولكنهم ممنوعون من الكلام ويحرمون من السفر لمدد غير محددة. ولدي مئات الأسماء من الرجال والنساء الممنوعين من السفر مثل عبد المحسن هلال، ووجيهة الحويدر، ومتروك الفالح. وأود توزيع بعض التقارير التي تشتمل على قضايا الجلد، والحبس، والمنع من السفر.

ثمة جمود مثير للغرابة يعيق السعودية. فليس هناك إصلاحات استيعابية حقيقية، وليس هناك توجّه نحو الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات المدنية. فالقمع يتم تبريره بإسم محاربة الإرهاب. وقد تم اعتقال أكاديميين وأساتذة محترمين تحت راية الحرب على الإرهاب. وتقدّم منظمة العفو الدولية أسماء وحالات مفصّلة.

السؤال الذي يجب طرحه: ماهو الهدف من وراء هذه القيود حين لا يمكن إبقاء العالم خارج مجال التأثير؟ فلم يعد بالإمكان إغلاق حدود المملكة. فقد كشف موقعا فيسبوك ويوتيوب الحادث الكارثي للسيول في جدة.



د. يماني وروبرت ليسي

وحتى اجتماعنا في هذه الغرفة اليوم أصبح معروفاً، ومتوقّعاً، ومناقشاً في المواقع الالكترونية السعودية. أيها السيدات والسادة، حيث نجلس نحن في هذه الغرفة، فإن هذه الجدران لا تفصلنا عن السكّان في السعودية الذين يطالبون بحقوق الإنسان، والمساواة، والكرامة.

وفي الختام، حين تقرأون كتب الصحافيين والمؤرّخين الذين يزورون المملكة مثل روبرت

غياب حرية الممارسة الدينية تستوعب السنّة الآخرين، مثل الحجازيين. وإقامة احتفال المولد النبوي، يقود إلى الحبس في السعودية

ليسي، قد تشعرون بالأمل في السعودية وهي في طريقها نحو المستقبل، مستقبل المساواة لكل رعايا المملكة. وإنني أتمنى بالفعل أن أستطيع الآن اعتناق مثل هذه الآمال. ربما في يوم ما حين تصمت الرسائل الكئيبة والمواقع الانفعالية، سأكون قادرة على مقاسمة الثقة التي لدى بعض هؤلاء الزوّار للمملكة الذين يجلبون قصص السجون السعيدة إلى أوطانهم.

ضغوط سعودية توقف فيلم (محمد علي)

بعد ضغوطات مكثّفة تعرّض لها أصحاب مشروع فيلم (محمد علي) باشا تم إيقافه أخيراً. وكشفت المؤلفة الدكتورة لميس جابر عن السبب وراء توقف مشروع فيلم (محمد علي) وتأجيل تصويره أكثر من مرة، وهو رفض السعوديين الذين يمثلون المموّل الرئيسي بشركة (جودنيوز) المنتجة للفيلم، بسبب موقفهم من إبراهيم باشا الذي قاد حملات تاريخية شهيرة ضد الحركة الوهابية بالجزيرة السعودية، وأنهى بذلك الدولة السعودية الأولى في القرن الثامن عشر. وإبراهيم باشا هو ابن محمد علي، والذي كان وراء القضاء على الحركة الوهابية التي كان يتزعّمها آنذاك محمد عبد الوهاب، وكانت تهدف إلى الإنفصال بشبه الجزيرة العربية عن الخلافة العثمانية.

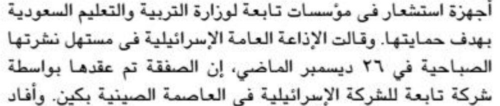
محمد علي باشا

وأشارت جابر إلى أنها كانت تشعر بوجود ضغوط سعودية لمنع ظهور العمل إلى النور، وذلك بعد الظروف الغريبة والتخبّط الذي مرّ به الفيلم، والتي أدت إلى تعثّر إنتاجه، خاصةً وأن قصة الفلم ستتطرّق لتلك الأحداث. وأعلنت لميس جابر أنه فور تأكدها من عدم تنفيذ فيلم (محمد علي) قرّرت تحويله إلى مسلسل تلفزيوني بنفس الإسم من إنتاج شركة (كنج توت). جدير بالذكر أن فيلم (محمد علي) من بطولة يحيى الفخراني، وتأليف لميس جابر، وإخراج حاتم علي، ويشارك في بطولته ميرفت أمين، ولبلبة، وغادة عبد الرازق، وكان سيعد من أضخم إنتاجات السينما العربية ببلوغ تكلفة إنتاجه ٦٠ مليون جنيه.

تطبيع تكنولوجي بين الرياض وتل أبيب

يبدو أن (كاوست) لم تشأ الإنطلاق في ركب التكنولوجيا دون أن تضع بصمة في حركة التطبيع التدرّجي بين السعودية والدولة العبرية، فبعد أن كان الإعلام السعودي ممثلاً في (العربية) و(إيلاف) و(الشرق الأوسط) من قام بخطوة تطبيعية لافتة، عبر افتتاح مكاتب في تل أبيب، وإجراء مقابلات مباشرة مع مسؤولين كبار في الحكومة الإسرائيلية فبالأمس البعيد نسبياً يظهر رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت على شاشة (العربية)، فيما كانت عبارة (مسؤول إسرائيلي كبير لـ صحيفة الشرق الأوسط) تتربّع صدّر الصحيفة بصورة متكررة منذ مطلع القرن الحالي، ولم يكن عجيباً أن تحلّ مراسلة (ايديعوت احرونوت) ضيفة على آل سعود في قمة الرياض في مارس ٢٠٠٧.

في كتابه عن (الشرق الأوسط الجديد) كان يدعو رئيس الدولة العبرية الحالي شيمون بيريز الى تعاون علمي بين دولته والدول العبرية على أساس أن الشرق الأوسط العربي يملك سوقاً واعدة للبضاعة الإسرائيلية المتقدّمة، وخصوصاً في الحقل الزراعي. وهاهي آمال الاسرائيليين تتحقق على أيدي آل سعود. ففي تعاون مشترك علني يحدث لأول مرة في تاريخ السعودية والدولة العبرية، وقّعت شركة (سونار) الإسرائيلية المتخصصة فى إنتاج أجهزة لحماية سيارات ومبان على اتفاق لتركيب أجهزة استشعار فى مؤسسات تابعة لوزارة التربية والتعليم السعودية بهدف حمايتها. وقالت الإذاعة العامة الإسرائيلية فى مستهل نشرتها الصباحية في ٢٦ ديسمبر الماضي، إن الصفقة تم عقدها بواسطة شركة تابعة للشركة الإسرائيلية فى العاصمة الصينية بكين. وأفاد مراسل الإذاعة العبرية أنه بموجب الاتفاق ستقوم شركة سونار بتركيب ٧٥٠ جهاز استشعار فى مؤسسات تعليمية فى مدينة الرياض وعدة مدن سعودية أخرى.





وكرد فعل على تقرير الاذاعة الاسرائيلية، نفت جامعة الملك عبد الله للعلوم والتكنولوجيا السعودية أي تعاون تقني مع جامعة تل أبيب، بعد أن نشرت وسائل إعلام إسرائيلية مؤخراً تقارير حول مشاركة المؤسسة التعليمية السعودية في بحث إسرائيلي حول أمن الإنترنت. وقالت مصادر في الجامعة السعودية لموقع سي إن إن باللغة العربية بأن التقارير المنشورة في الاعلام الإسرائيلي حول (هكذا تعاون) هي (غير صحيحة، ولا أساس لها، ولا تعتبر ذات قيمة)!

غير أن المصدر لفت إلى أن عدداً من الخبراء والأستاذة في الجامعة ربما كانوا يشاركون في أبحاث عملية في المنطقة، قبل أن ينضموا لفريق العمل في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتكنولوجيا، وليس وهم أعضاء في فريقها التدريسي. وكانت صحيفة (جيروزالم بوست) الإسرائيلية قد قالت في تقرير نشرته منتصف شهر ديسمبر الماضي أن باحثين (زملاء) من جامعة الملك عبدالله للعلوم والتكنولوجيا، يشاركون في بحث تقوده جامعة تل أبيب يتعلق بأمن الإنترنت. وقالت الصحيفة إن عدداً من الجامعات الأخرى تشارك في البحث ذاته، من بينها جامعة ديلهي الهندية، وباحثين من جامعة تايوان، للوصول إلى صيغة تقنية أكثر أمناً للمستخدمين عن إدخالهم بيانات حساسة إلى مواقع الإنترنت.

فتاوى ٢٠٠٩

يظهر أن صرعة الموضة انتقلت الى مجال الإفتاء في السعودية، فالسابقون إلى تقديم فتاوى متقدّمة في كل شاردة وواردة يحققون شهرة واسعة في فترة قياسية. سوق الفتاوى شهد انتعاشاً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، في ظل تزايد نبرة الخطاب الطائفي، والثراء الاتصالي الذي يزيد في شهية صنّاع الفتوى، واستدراج القنوات الفضائية لمشايخ آخر موديل كيما يزوّدوا جمهور المشاهدين بآخر الانتاجات/ الاجتهادات في موضوعات راهنة.

وفي رصد لقائمة الفتاوى الصادرة في مملكة آل سعود للعام الماضي ٢٠٠٩، لحظ الصحافيان عمرو جاد ولؤي علي بأن ثمة تناقضات كثيرة إلى جانب تنوّع الفتاوى بين تقليدية وأخرى غير متوقّعة، ولعل أغربها حسب الكاتبين والتي أحدثت ضجة وسط الرأي العام المحلي سلسلة الفتاوى المتزامنة التي أطلقها الشيخ أحمد بن قاسم الغامدى رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بمنطقة مكة المكرمة وهى (الاختلاط حلال وتحريمه بدعة، وجواز تفلية المرأة للرجل)، إستناداً على حديث منسوب الى النبي المصطفى صلى الله عليه

وسلم بأن الاختلاط مصطلح مبتدع على الحديث الشريف (عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمعه يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطعمته، وجعلت تفلى رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ، وهو يضحك، فقالت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر.. الحديث) أخرجه البخارى ومسلم، وفيه جواز دخول الرجل على المرأة فى غير تهمة، وفيه جواز تفلية المرأة رأس الرجل، ونحوه القص والحلق.

الشيخ الغامدي مثير الجدل

كما أباح الغامدي استماع الغناء من النساء فى وجود الرجل، فعن الربيع بنت معوذ أنها قالت: دخل على النبى صلى الله عليه وسلم غداة بني علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف، يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية: وفينا نبى يعلم ما فى الغد، فقال النبى صلى الله عليه وسلم (لا تقولى هكذا، وقولى ما كنت تقولين) أخرجه البخارى، والجويريات تصغير جارية، وهى الفتية من النساء، والحديث يفيد جواز الاختلاط، وجواز دخول الرجل على المرأة متى كان معها غيرها من النساء، وفيه جواز استماع الرجل لغناء النساء وضربهن بالدف).

وعلى جانب آخر أصدر أستاذ الفقه الدكتور عبد العزيز بن فوزان فتوى أباح فيها التصفيق، بعد تواتر فتاوى سابقة تحرمه، وجاءت فتوى إجازته موجهة لطلاب مدارس التربية النموذجية بالرياض، كما أشار فوزان إلى أن بعض المشايخ يجرّمون التصفيق ويرونه كبيرة من الكبائر وأنه يعد من المعاصى ولا يجوز، مدللين على فتواهم (وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً...) والمكاء هو التصفير، والتصدية معناها التصفيق، أى لما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى هو وأصحابه يبدأ المشركون بالتصفير والتصفيق حتى يشوشوا عليهم ويصرفوا الناس عنهم هذا هو معنى الآية، أما إذا كان التصفيق للتشجيع والإثناء على أحد فهنا نقول أنه مباح ولا نستطيع أن نقول التصفيق حرام فهذا يحتاج إلى دليل، والأصل هو الحل والإباحة.

ومن أغرب الفتاوى التى ظهرت أيضا العام المنصرم فتوى بتحريم رياضة اليوجا أصدرها خالد عبد الرحمن الجرعى عضو هيئة التدريس أستاذ الدراسات العليا بجامعة الملك خالد، معتبراً إياها من الرياضيات الوثنية المعهودة عند قدماء الهنود موضحاً إن رياضة اليوجا تتكون من تمارين بدنية مصحوبة بتركيز عقلى ووجدانى، ولها أصل عبادي وثني، وهى معهودة عند قدماء الهنود، يتقربون بها لآلهتهم (الشمس)، وبناء على هذا فلا يجوز للمسلم أن يتعلمها، ويمارسها على النحو الذى تؤدى به عند أهلها، وأضاف (العبادات لدينا فى الشريعة الإسلامية توقيفية، ولا تصرف العبادة إلا لله وحده)، وأشار إلى أن أداءها على النحو الذى يمارسه أصحابها فيه تشبّه بهم، حتى وإن لم يقصد الجانب العبادي، ودعا المسلمين إلى ممارسة تمارين الإسترخاء (التى ليس فيها محظور شرعى من التشبه بأهل الكفر فى هيئة عبادتهم). نشير الى أن تمارين الاسترخاء لم يرد فيها نصّ من السلف الصالح!.

البرّاك يصف الروائيين بالفجور وحملة للتضامن معهم

لا يبدو أن تصريحات الشيخ عبد الرحمن البراك المعروف بمواقفه المتشدّدة ضد عدد من الروائيين مثل عبده خال وتركي الحمد ود. غازي القصيبي وغيرهم، قد تركت مفعولاً قوياً ومباشراً سواء في الأشخاص المستهدفين أو التيار الحداثوي، المعني بالرد والدفاع عن نفسه. لم يعد هناك من يستشعر الخطر على نفسه إزاء متطرّفين قد يقدموا على اقتراف جريمة الإغتيال ضد أي من الروائيين، ليس لأن الخطر زال، ولكن لأن التيار المقابل ازداد شعبية، وتكسرت محرمات كبرى على أيدي جيل من الروائيين الجدد الذين مارسوا الشفافية في أقصى ما يمكن أن تصل إليه.

وكان الشيخ البراك قد أصدر بياناً نشر على موقع (نور الإسلام) الذي يشرف عليه الشيخ محمد بن عبد الله الهدبان، علق فيه على نية وزارة التعليم ترجمة روايات كل من (غازى القصيبى، تركى الحمد، عبده خال، ورجاء عالم) ووصف البرّاك الأدباء الأربعة بأنهم أعداء للمملكة حكومة وشعباً، وأنهم فاسدو الفكر ومحبون للرذيلة ولنشر الفساد، ورواياتهم المرشّحة للترجمة ليست سوى قطرة من بحور فجورهم.

تصريحات البراك دفعت مجموعة من المثقفين إلى تبني حملة مضادة حيث أصدروا بيانا للتضامن مع الأدباء قالوا فيه إن هذه الإتّهامات تأتى لممارسة الضغط الحكومي والشعبي بهدف الإساءة لمكانة ودور الروائيين والأدباء السعوديين فى إثراء الساحة الفكرية والأدبية المحلية والعربية والعالمية.



الشيخ البراك

وانتقد أحد الأدباء المتضامنين مع الروائيين الأربعة (تفكير مشايخ التكفير في السعودية) وأنهم (يتحركون من منطلقات متحجّرة)، وقال عن حملة التضامن بأنها (رد فعل طبيعي على حملة التشويه، مضيفا: المفترض أن هذا الحال ليس غريباً على المؤسسة الدينية السعودية التى عودتنا على التوجس الدائم من الأدب والميل نحو المنع والتكفير والترهيب بالدين، فهي الدولة الوحيدة فى العالم التى لديها شرطة دينية تقيّم الأعمال الأخلاقية والدينية، كما أنها المؤسسة الأكثر تزمتا ضد الفن والأدب).

وأعلن الأديب صلاح السروي عن انضمامه للحملة التى أقامها المثقفون السعوديون والتي تضامنوا فيها مع كل من الأدباء الأربعة، واصفاً ما حدث بأنه ضد الحرية والبيان الصادر خطوة يجب الترحيب بها من كل المثقفين والمستنيرين العرب لأن حرية التعبير تفتح الباب أمام النهضة والتطور.

دسائس العقل الباطني

الحرب في المخيال الوهابي

هيثم الخياط

يتميّز المخيال السلفي بخصوبته في صنع عالم مشحون بكل صور البطولة والخوارق الميدانية التي يصعب العثور عليها في الواقع، فما يعجز العالم المشهود عن تقديمه، يتولى العقل الباطني مهمة تصنيع عالم بديل، مفعم بألوان شتى من الأحلام، والقصص الأسطورية، والخيالات الشعبية حتى وإن جاءت متناقضة تماماً مع ما يجري على أرض الواقع.

يخوض العقل الباطني لدى السلفي لعبة الحقيقة والزيف بطريقة مختلفة، فهو لا يقيم وزناً للبيانات العسكرية، ولا الحقائق الميدانية، بل هو يتخيل الحقيقة التي يريدها أن تكون، وليست كما هي كائنة. هو يريد أن يرى صورته المتخيّلة في الخارج، ولذلك يضع كل طاقته المخيالية في خدمة العقل الباطني، كيما يرسم له عالماً وردياً، يحقق فيه أحلامه، وانتصاراته، ومعاجزه.

حين بدأ التدخّل العسكري السعودي في حرب اليمن ضد الحوثيين، كان العقل الباطني السلفي متأهّباً لسماع أنباء الانتصارات الإسطورية التي تحققها القوات السعودية بطريقة ساحقة وحاسمة وفي جولة واحدة خاطفة. بلا ريب، يستحضر العقل الباطني لدى السلفي قصص البطولات التي تحققت في مناطق قريبة سواء في لبنان أو فلسطين، وربما في العراق وأفغانستان، وربما حتى قصص مواجهات القاعدة، بمفعولها الفنتازوي، تصبح جزءً من تكوين العقل الباطني السلفي.

منذ إقرار الحكومة السعودية بدخولها في الحرب في اليمن ضد الحوثيين في بداية نوفمبر من العام المنصرم، كان للعقل الباطني سيناريو عسكري خاص. فمنذ الأيام الأولى للتدخّل العسكري السعودي في الحرب وقع جبل الدخان تحت سيطرة الحوثيين، ومازالت سيطرتهم مستمرة، ولكن العقل الباطني السلفي يأبى قبول مثل هذه الحقيقة الميدانية، لأنها تمزق غشاء التفكير الباطني المصمّم لإنتاج حقائق أخرى.

يبدأ العقل الباطني بصوغ البيانات العسكرية بصورة منفردة، وبعيداً عن ساحة المواجهات. في ٤ نوفمبر الماضي نشر موقع جازان نيوز على الشبكة خبراً يقول (أبطالنا يستعيدون السيطرة على جبل الدخان، وأقدامهم تدوس علي جثث ورقاب الحوثيين)، لم يكن الخبر عادياً فهو يمثل سلوة لجمهور شعر بمرارة الإنكسار العسكري السعودي الذي فقد مواقعه لصالح الحوثيين. وهنا يفتح العقل الباطني الباب أمام تعليقات المتماثلين نفسياً وذهنياً، لتبدأ عملية مراكمة للمخيال السلفي لتضطلع بإعداد (التفكير الحالم) فقد علّق أحدهم (كم اتمنى أن يستغلوا هذه الفرصة و يمسحوا هؤلاء الشرذمة من الوجود فأنا لا أعتقد أن ذلك صعب على قواتنا).

ومايلبث أن يحيك العقل الباطني قصة المعركة المتخيّلة بعيداً عن أرض القتال، فقد نقل أحدهم خبراً في الأيام الأولى للتدخل السعودي يقول فيه (تم ضرب مخبأ عبدالملك الحوثي قائد الحوثيين بعدة طلعات جوية ـ ومصادر ترجح مقتله وأخرى تنفي بحجة إقامته بدولةأخرى بدين لها بالولاء)، أي إيران. ويكتب آخر بطريقة المواجهات الخاطفة التي تقع في الأفلام الكارتونية، وتعكس المدى الذي يصل إليه الاستبطان النفسي في مثل التجييش الطائفي (أتمنى من قواتنا البريه والجويه أن تدكهم بشكل متواصل ليل نهار حتى يختفي أثرهم للأبد..).

وبالرغم ما تفشي هذه الأمنية من نزعة استئصالية، فإنها تمثّل حفلة بيع أوهام يشارك فيها الجميع، ومطلوب من الجميع المشاركة فيها وإلا تعرّض لتهمة التخوين السياسي أو التكفير العقدي، فيجب أن يشارك الجميع في احتفالية نصر يصنعه الجميع، بل وتوفير كل ما يعزّز هذا الشعور، ويجلب الرضا النفسي. في هذه الاحتفالية الجماعية تصنع بطولات غير ميدانية. خطورة هذا الشعور الوهمي يكمن في أنه ينطوي على صدمة نفسية عنيفة فيما لو تبيّن التناقض الفاضح في النتائج بين الميدان الحقيقي والميدان المتخيّل، الذي يعيشه الجمهور ويصنعه رجال الدعاية من مشايخ وإعلاميين وقادة سياسيين وعسكريين. أحدهم عبّر مخاوفه بطريقة مختلفة بالقول (على المملكه أن تضرب وبعنف وقوة كي تبين للعالم أنها لن تكون سهلة حين يعتدى عليها وإلا سنرى الحوثيين كل يوم في كل مكان). ويعلّق آخر (والله وفتحوا على نفوسهم باب من أبواب جهنم هالحوثيين على بالهم القوات السعوديه مثل اليمنيه!!). إنه العقل الباطني الذي يحاول صوغ مشهد البطولة المتخيّلة وبطريقة مفخّمة.

ما يلفت الإنتباه، أن العقل الباطني وهو يزاول مهمة تغذية المخيال الشعبي السلفي والنجدي بقصص الإنتصارات، يستشعر في لحظة ما بأنه كمن يقوم بعزف منفرد فيما بقية أعضاء الأوركسترا متوقفة عن العزف. أحدهم علّق على غياب الإعلام الرسمي في الإحتفالية الوهمية وقال (إلى الآن (واس) ـ وكالة الأنباء السعودية ـ نائمة!! ما سرّ هذا الركود الإعلامي الذي يصل إلى درجة التبلد؟؟!). ربما لأن لا شيء يستحق الذكر هو سبب الصمت، ولكن لا يجوز في العقل الباطني أن تلوذ واس بالصمت، فعليها أن تشارك في صنع مخيال النصر.

أحدهم قام بعقد مقارنة بين لقطات الفيديو التي بثّها الحوثيون، والتي يظهر فيها سيطرتهم على مناطق جبل الدخان والرميح والجابري وغيرها، ليقوم بتقديم لقطات مضادة بغرض نفي تقدّمهم في أرض المعركة، ويختم جولته التصويرية المثيرة للشفقة بالقول:

(أخيراً بناءً على كل هذه التفصيلات أعلاه، نرجو من كل الاخوة الإطمئنان تماماً بأن لهذه الدولة رجال و قادة يعون ما يفعلون ، وبأن الإعلام المضاد لا يمكن في يوم الأيام أن يكون مصدراً، وذلك نظراً لكذبه و تلفيقه والذي

نفضحه للمرة الألف، لنكن مع رجالنا الصناديد بالدعاء في ظهر الغيب و بـإذن الله إننا على مقربة من النصر الكامل).

ولأن اللقطات التصويرية مجرد مجهود فردي، في ظل غياب أي مصادر إعلامية أخرى بما فيها السعودية لتثبيت صحّتها، فإن أحدهم اعتبر من قام بذلك عملاً خارقاً فعلّق قائلاً (جميع محبيك يثنون عليك وقد قمت بما لم يقم به الاعلام الحربي الذي لم يستطع الا ان يأخذ عملك هذا). فالإمبراطورية الاعلامية السعودية بأكملها تعطّلت في تغطية مجريات الحرب، فيما تكفّل أحد الهواة بتغطية (النقص) الحاصل في الاعلام الحربي السعودي. ولأن العقل الباطني يستوجب حضوراً صورياً من أي نوع كان لجهة إثبات الحقائق المرجو حصولها في الميدان، فلا بد أن تخرج الصورة مطابقة تماماً لتمنيات الجمهور الواقع تحت مغنطة المخيال السلفي.

ولذلك جاءت التعليقات متطابقة ليست مع الصورة المبثوثة في التقرير الذي قام به أحد الهواة، ولكنه يلبي حاجة نفسية ضاغطة تنزع نحو العثور على نصر. كتب أحدهم: (جميل هذا التحليل الذي فضح وكشف ألاعيب وضحالة تفكير هؤلاء الشرذمة..)، وعلّق آخر (عموماً..هم يعلمون بأنهم مدحورون بإذن الله، ويعلمون بأنهم سيُردون خاسئين ناكسي رؤوسهم.. لذلك لن يألوا في استغلال الإعلام كساحة لتعويض ما يلاقوه في زوايا هذه الحرب..)، وقال ثالث (لله درك عزيزي. نعم المجاهد أنت هنا. لقد نقلت لنا صورة حقيقية عن الموقف)، وقال رابع (انني من الأشخاص الذين يتهافتوون على الحقيقه من يد (...)، لا عربيه وبلا أخباريه إنما..). بالرغم من أن (العربية) و(الأخبارية) حاولتا استعمال أقصى ما يمكن أن تصل إليه قدرتهما الإعلامية والخبرية في نقل ما يشير إلى استعادة السيطرة على أي منطقة من أيدي الحوثيين سواء داخل الأراضي اليمنية أو داخل الأراضي السعودية.

ولأن العقل الباطني مطالب بأن يستعمل كل ما يملك من قدرة على تصنيع صور الإعلام الحربي، من تشويه، وكذب، وخداع، فلا يكف هذا العقل عن فبركة صورة الخصم ليس بما هي في الواقع، ولكن بما يجب أن يراها الجمهور. أحدهم علق على صورة حسين الحوثي بعد مقتله في الحرب الأولى سنة ٢٠٠٤: وقد سمعت بأذني أحد أتباعة يقول (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم). ولأن كل أدوات الحس تبدو موجّهة لخدمة المخيال الشعبي السلفي والنجدي، فإن السمع والبصر والفؤاد ليس مسؤولاً في مثل هذه الحرب، هكذا يخبر العقل الباطني، ولذلك المطلوب هو تصديق كل شيء سواء صدر عن عين أو أذن غير مثبتّتين في رأس بشر، فليس هنا مجال الفصل بين الحقيقة والزيف، والحق والباطل، فقد تحدّد الحق الذي عليه الجمهور السلفي وتحدّد الباطل الذي عليه جمهور الحوثيين، وهذا من شأنه أن يعفي المرابطين على جبهة تخصيب المخيال الشعبي من أية مسؤولية طالما أن ما يقولونه يتوافق مع متطلبات العقل الباطني.



الحرب تكشف كنوز المخيال الوهابي!

في قصيدة بعنوان (جن الجزيرة والحوثيين) للشاعر الشعبي ماجد بن حمد الزيد الخالدي، ثمة بتر واضح بين ما هو حق وباطل في المخيال السلفي، فهو يدمج في القصيدة بين تاريخ العرب قبل الاسلام والتاريخ الاسلامي والإرث القبلي واللهجة الطائفية النافرة، لتتحوّل إلى حرب بين العرب والفرس، والمسلمين والمشركين، وحروب القبائل. ولم يخف في السياق انكسار السعودية في لبنان بعد ٧ مايو (أيار) ٢٠٠٨، حيث يخاطب الحوثيين:

العقل الباطني السلفي يأبى قبول الحقيقة الميدانية، لأنها تمزق غشاء التفكير الباطني المصمّم لإنتاج حقائق في هيئة انتصارات عسكرية أسطورية

الجزيرة ماهي بْلبنان/ خبت وخاب عشْمك
دونها سبع القبايل/ واخيع اركع صال صايل

ما يلفت أن القصيدة حملت نبرة كراهية دينية واضحة، تطال مواطنين في هذا البلد وهم الشيعة في المنطقة الشرقية ونجران والمدينة المنورة وغيرها، كقوله:

كلّ شبر بالوطن دونه حمام الموت حامي
والله إنْ يشرب كـدرّه الرّافضي ويموت ضامي

بل ثمة أبيات تنطوي على تهديد بالقتل ضد الشيعة في المنطقة الشرقية كما في الأبيات التالية:

علّموا الرّهبان شرق المملكة غرب المنامة
إن ظهر فيهم خميني ورامت تْطير النّعامة
والله إن تغضب ليوث ما عليها من ملامة
وتغرز أنياب الشّهادة فيهم بشتّى الوسايل

وهذا يلتقي مع ما قاله الشيخ العريفي في خطبة الجمعة الشهيرة التي تعرّض فيها أيضاً لشيعة السعودية وقال لولا يقظة الأجهزة الأمنية لأتوا بالكبائر. فالعقل الباطني لا يضمر خشيته ولا كراهيته الدينية هنا، بما يحمل من تحريض طائفي قد يتم توظيفه في لحظة ما في مواجهة مسلّحة داخلية.

والقصيدة في مجملها لا تخفي الرؤية السعودية حول حربها ضد الحوثيين حيث يجري تصويرها على أنها حرب ضد إيران على خلفية مذهبية، وهذا ما تعكسه أيضاً مواقع سلفية وليبرالية نجدية. فقد نشر موقع (أنا المسلم) الذي يشرف عليه سلفيون وثيقة مزعومة عن مراسلات جرت بين السيد بدر الدين الحوثي والسيد جواد الشهرستاني مسؤول مؤسسة آل البيت في قم، مؤرّخة في الأول من ربيع الأول سنة ١٤٢٥هـ، أي قبل الحرب الأولى بين نظام علي عبد الله صالح والحوثيين. تذكر الرسالة بأن ثمة مراسلات جرت بين السيد بدر الدين الحوثي والسيد علي السيستاني في النجف. ثم تذكر الرسالة على لسان السيد بدر الدين الحوثي بأن السيستاني طلب الإيضاح عن الغموض حول توجّهات الحوثيين في اليمن (وقد أحالها الى المرجعية آية الله محمد الإصفهاني). وفي سؤال عن التقاليد السائدة في العمل المرجعي الشيعي، يظهر أنه ليس من عادة المرجعيات الشيعية إحالة رسائل تصل إليهم الى مرجعيات أخرى أدنى منهم مرتبة، فضلاً عن أن يكون ثمة مرجع في الواقع بإسم محمد الأصفهاني، دع عنك الطريقة التي يكتب فيها الصفة. فلم يكتب

مثلاً المرجع بل المرجعية، وهذا غير متعارف عليه في التقاليد الشيعية، لكل من قام بجوجلة سريعة في الشبكة على المواقع الشيعية الخاصة بمراجع الشيعة.

يقول أيضاً بأن الإصفهاني وضع بعض الملاحظات على الرسالة المحالة من السيستاني، ثم يقول الحوثي الأب (ونحن في اليمن نرى في هذه الملاحظات عقبة كؤود في طريق نجاح الحركة في اليمن التي تهتدي بنهج (..) الأمة وقائد الثورة الاسلامية الامام القائد والموجه السيد روح الله آية الله الخميني قدس الله سره وجعلنا من خدمه من اليوم الى يوم الدين). وهنا تبدو الفقرة في غاية الركاكة، فالعقل الباطني يتدخل كيما يضخ زخماً مفتعلاً بتكديس عبارات التفخيم المصطنع، كما في عبارة (الموجّه) غريبة الاستعمال في هذا الشأن، خصوصاً بالنسبة لرجل ميّت، ثم عبارة (قائد الثورة الاسلامية الامام القائد والموجّه)، ثم (روح الله آية الله) وهي مستغربة أيضاً، بحيث أن واضع الرسالة يجهل الإسم الأول للخميني وهو روح الله، فكيف يأتي الاسم قبل الصفة الحوزوية (آية الله).

ويمضي العقل الباطني لواضع الرسالة ويقول بأن من المقاتلين الحوثيين (من تم تدريبه وتعليمه في معسكرات الحرس الثوري) لإثبات ارتباط الحوثيين بإيران). ويضيف كاتب الرسالة بأن ثمة (بعثة عسكرية) إيرانية زارت مناطق حيدان ورافقها الولد حسين واطلعت على الاوضاع لكل تفاصيلها..الخ.

تقول الرسالة أيضاً بأن يحي الحوثي، المقيم في ألمانيا، وآخرين سيتكفلون ببدء التحرك وبذل الغالي والنفيس (حتى تحقق الحركة هدفها النهائي وما علينا سوى استغلال الوقت وما عليكم غير تقديم الدعم المعنوي والمادي والسياسي الذي سيمكننا من تحديد زمن المعركة وبدايتها ونهايتها لمصلحة آل البيت عليهم السلام).

ونظرة في الفقرة الأخيرة تعكس الإستبطان النفسي لواضع الرسالة، ليس فقط بمحاولة تثبيت العلاقة بين الحوثيين والسيستاني أو ممثله في قم، ولكن العقلية المؤامراتية التي تنتج النص بهذه الطريقة من قبيل (استغلال الوقت) (وتقديم الدعم المعنوي والمادي والسياسي)، و(تحديد زمن المعركة وبدايتها ونهايتها) و(لمصلحة آل البيت عليهم السلام)، وكلها عبارات مستوحاة من نظرية مؤامرة مختمرة في المخيال السلفي الخصب، ثم يختم صانع الرسالة بإسم بدر الدين الحوثي (المرشد الأعلى لمؤسسة آل البيت في اليمن)، وليس هناك صفة (مرشد أعلى) إلا في ذهن العقل الباطني السلفي الذي لم يتقن تزوير الرسائل. الرسالة ـ الوثيقة انتشرت في مواقع يمنية وسعودية رسمية، مصحوبة بجرعة تحريضية مكثّفة بهدف تأكيد مزاعم الحكومتين اليمنية والسعودية حول الدور الايراني أو دور المرجعيات الشيعية وكذلك التطلعات الحوثية لإعادة إحياء دولة الإمامة!

وبطبيعة الحال، فإن ما هو متوقّع من الانصار وأهل التوحيد سوى الثناء على (فضح الحوثيين) والدعاء عليهم، كما جرت التوقّعات في مثل هذه الحالة. ولأن الكذب في الحرب جائز، خصوصاً مع عدو عقائدي مثل الحوثيين، فإن العقل الباطني ينعش المخيال السلفي بما يجعله قادراً على انتاج الوثائق والأساطير التي تساعد على تشويه صورة الخصم، فيصبح كل ما يفكّر فيه السلفي واقعاً قائماً في الخصم، إذ ليست الحقائق الواقعية هي المطلوبة في صنع الوعي هنا بل الحقائق المتخيّلة كونها المطلوبة في المواجهة المفتوحة.

الشيخ محمد العريفي نقل في خطبته في صلاة الجمعة بجامع البواردي بالرياض مشاهداته في جبهات القتال ضد الحوثيين، ولم يبرح العقل الباطني الذي يناقض الواقع

العقل الباطني ينعش المخيال السلفي بما يجعله قادراً على إنتاج الوثائق والأساطير التي تساعد على تشويه صورة الخصم، فيصبح المفكّر فيه حقيقة

الميداني في الحديث عن بطولات لم يسمع بها أحد، وعن انجازات عسكرية لم تنعكس في الامبراطورية الاعلامية السعودية، فيما نجحت لقطات فيديو يبثّها الحوثيون على مواقعهم من تعطيل الامبراطورية السعودية، حيث تناقلت المحطات العربية والعالمية ما يبثّه الحوثيون من (كليبات) عن سيطرتهم على مواقع عسكرية سعودية أو مجازر ترتكبها الطائرات الحربية السعودية ضد المدنيين وعشرات الأطفال الذين تمزّقت أشلاؤهم بفعل صواريخ المقاتلات السعودية، فيما تتكبّد القوات السعودية خسائر على مستوى الأرواح والمعدات والأرض، وعجزت بعد مرور نحو شهرين على التدخل السعودي عن استرجاع جبل الدخان أو مركز الجابري.

محاولات إلصاق الحوثيين بإيران لم تنجح في إقناع أي من وسائل الاعلام الاجنبية وحتى العربية، تماماً كما هي أنباء استعادة الأراضي السعودية الواقعة تحت سيطرة الحوثيين، ولذلك فإن العقل الباطني يمارس دوراً تعويضياً عن الهزائم عن طريق تخصيب المخيال الشعبي الذي يشارك فيه المشايخ الذين يزورون الجبهات ويعودون محمّلين بقصص وهمية كالتي ينقلها العريفي إلى جمهوره، والتي تندرج في سياق التعبئة الشعبية ولكن بلغة طائفية، بما يشير الى الحالة المعنوية المتردّية، خصوصاً بعد مرور شهرين على بدء التدخل السعودي، حيث تآكلت مصداقية القوة العسكرية السعودية تدريجاً أمام الجمهور السلفي..

وحدهم السلفيون المقرّبون من آل سعود وأنصارهم من يديرون دفة العقل الباطني ويغذّونه بانتصارات وهمية، فالأساطير تصبح حقائق حين تعجز الأخيرة عن الحفاظ على تماسك العلاقة بين آل سعود وقواعدهم الشعبية. وطالما أن الهدف هو (تعبئة) الجمهور، فلم لا يكون (الحلف بالله العظيم) أحد أدواتها لدى الشيخ العريفي وغيره لتثبيت صدقية الأساطير التي نقلوها من أرض المعركة، بما يجعلها أقرب الى أفلام (الأكشن) التي لا تتحقق الا داخل استوديوهات التصوير أو على شاشات الكمبيوتر.

هو نفس العقل الباطني الذي يقسم المصير، مصير القتلى من الطرفين الى الجنة أو السعير، كما في توصيف رائحة جثث القتلى من الحوثيين والسعوديين، فبينما يصنع العقل الباطني رائحة زكية كالمسك تفوح من جثث الجنود السعوديين تبدو رائحة جثث المقاتلين الحوثيين نتنة وكريهة..هذا هو ما يراه العقل الباطني السلفي في حربه المتخيّلة.

ما نلحظه بوضوح بعد أكثر من شهرين على التورّط العسكري السعودي في اليمن، أن كثافة التعليقات التي كانت تنهمر في الأيام الأولى انحسرت تدريجاً، وفيما تخلى الجمهور العام عن قائمة تمنياته، بدأت المواقع الخبرية، والمشايخ بالاضطلاع بمهمة شحن المخيال الشعبي بقصص القتال الإسطوري. لا ترى تعليقات لأفراد في مواقع سعودية سلفية أو ليبرالية حول يوميات القتال، إلا نادراً فيما تواصل المواقع الخبرية السعودية نشر تقارير عسكرية ليست بالضرورة واقعية، لأن الغاية ليست نزاهة التقارير بقدر ما هو تحقيق غرض التعبئة الشعبية.

تركي الحمد يسوّق النموذج السعودي

السعودية نموذج غير قابل للتصدير

عبد الوهاب فقي

السعودية لا تغري أحداً، لا على صعيد نظام الحكم ورموزه، ولا على صعيد النموذج الديني ورجاله بالمقارنة مع الأزهر في مصر وغيرها، ولا على مستوى التنمية الاقتصادية بالقياس الى الدول المجاورة، ولا على مستوى الحريات الشخصية، ولا على مستوى الأداء السياسي في المجالين الإقليمي والدولي، ولا على مستوى تجربة النظام السياسي الذي هو تسلّطي، فماذا في هذه الدولة ما يجعل البعض يقدّمها نموذجاً؟

الفارق بين المثقّف والإنسان العادي هو الأفق الذي ينظر فيه كل منهما، فيرى المثقف ما لا يراه غيره، فكيف إذا كان المثقف مراقباً أيضاً، بل ومناضلاً يتطلع الى رؤية الشعارات التي يرفعها باتت موضع التنفيذ. لا ندري على وجه الدقة ما يرومه الكاتب والاكاديمي السابق تركي الحمد من وراء مقالات عديدة يكتبها دفاعاً عن نموذج الدولة السعودية، ولا ندرك مالذي يحمله النموذج من علامات فارقة قياساً إلى نماذج أخرى في مشرقنا الكئيب. بطبيعة الحال، بإمكانه العثور على نقاط مشعّة من وجهة نظره، وقد لا يتقاسم معه أحد رؤيتها، فقد تلبي حاجات شديدة الخصوصية، وبإمكانه أيضاً أن يقدّم نموذج السعودية باعتباره فريداً طالما أنه يعتمد مقاربة بأدوات محلية، أي ليست ذات طبيعة معيارية، من وجهة علمية. وفي كل الأحوال، يبقى خط التناظر بين رؤيته والرؤية الـ (يونيفرسال) كامناً في قدرة كل طرف على الاقتراب من الحقيقة.

الحمد، شأن كثير من المثقفين النرجسيين، ينظرون بحساسية مفرطة إلى الخارج المتقدّم، ما دفع بهم لتبني لغة دفاعية مفرطة في (مثلنة) الذات. يخوض هؤلاء حرب النماذج لناحية تصعيد نموذج فقد وفق المعطيات الواقعية قدرته على التميّز، على خلاف نماذج أخرى في المشرق العربي بدءً من دولة محمد علي باشا ومروراً بثورة يوليو ١٩٥٢، وحركات التحرر العربي في سوريا والعراق ولبنان وليبيا واليمن وغيرها. حتى ذلك الوقت وبعده، كانت السعودية تمثّل نموذج الدولة الرجعية دينياً والعميلة للغرب سياسياً واستراتيجياً.

بالنسبة للمثقف، أي مثقف، يجد نفسه محكوماً بنموذج الدولة التي يعيش في ظلها، فإن كانت تتمتع بشعبية واسعة عابرة للحدود، نقلت معها ثقافتها وشعاراتها ومثلها كما قد تنقل عاداتها وقيمها. وبلا شك كانت مصر الدولة النموذج التي مثّلت نبض الأمة على امتداد ما يربو عن قرن من الزمن، وقد حصلت على هذه الصفة بجدارة، لأنها كانت تقود حروب التحرير ضد االاستعمار الأجنبي في الداخل، وهي من تحمّلت كل حروب تحرير فلسطين على امتداد نصف قرن قريباً وحتى إبرام اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨.

في المقابل، لم يحقق النموذج السعودي أي اختراق في الوعي القومي العربي، ليس فقط لكونه نموذجاً مؤسس على قاعدة أيديولوجية، ولكنه نموذج مصمّم لخدمة طائفة/أقلية/إقليم ما يجعل السعودية (جماعة من أجل ذاتها)، ولا شأن لها بالآخر، سواء كان قريباً أم بعيداً، ولا عجب أن تعجز السعودية عن أن تتحول نموذج الدولة الإسلامية أيضاً، رغم كونها تحتضن الحرمين الشريفين، وتستحضر الخطاب الديني بكثافة عالية، وتقدّم العلماء والمؤسسة الدينية باعتبارها راعية لهم، فليس هناك من يعتبر السعودية نموذجاً لدولة دينية متميّزة، فلا خطابها الديني يحظى بجاذبية في العالمين العربي والاسلامي، ولا سلوك العائلة المالكة ينظر إليه باعتباره سلوكاً إسلامياً أو قومياً، ولا سياسات الدولة وتحالفاتها الخارجية الغربية تعتبر في نظر العرب والمسلمين بأنها قائمة وفق إملاءات دينية محض، مهما شاءت لهجة العلماء ذلك.



تركي الحمد

هناك من المثقفين السعوديين (النجديين على وجه الخصوص والحصر) من يحاول أن (يصنّع) من السعودية نموذجاً، على أساس معطيات مصعّدة بعد إعادة تفسيرها، أو في ظل حرب نموذجين في العالم العربي: ممانعة واعتدال. ولأن مصر التي خسرت مركز جاذبيتها وموقعها في جبهة الممانعة، فقد برزت نماذج حركات ممانعة في فلسطين ولبنان بوجه خاص، والتي تحظى بدعم إيران وسورية، فيما دخلت مصر والسعودية والأردن وعدد آخر من الدول العربية في معسكر الإعتدال، منذ أعلنت عن تشكيله وزيرة الخارجية الأميركية السابقة كونداليزا رايس في ١٣ تموز (يوليو) ٢٠٠٦، على أساس أن

خارطة شرق أوسط جديد قد بدأت في التشكّل وستكون دول الإعتدال قلب العالم العربي.

خروج مصر عن كونها نموذجاً، لم يفسح في المجال أمام السعودية كيما تتحوّل إلى مركز الجاذبية السياسية والأيديولوجية البديل، فقد تعامل معها من هم خارج الحدود من مثقفين وإعلاميين ومناضلين على أنها مجرد جهاز (صرّاف آلي) ضخم، ينفق بسخاء وببلاهة أحياناً. بالنسبة لبعض المثقفين السعوديين (النجديين)، فإن ما يسوؤهم هو أن لا يروا أثراً لـ (نعمة) آل سعود على من يلوذون بهم، بحيث لم ينظر إليهم باعتبارهم ممثلين لنموذج، بل مجرد ملاّك بنك ضخم. هؤلاء المثقفون ينظرون إلى أنفسهم بتميّز تبعاً للتميّز الإفتراضي لدولتهم، فيتعاملوا مع الأشياء من حولهم باعتبارها ملحقات بنموذج الدولة التي ينتمون إليها.

في ضوء ما سبق، نضع مقالة تركي الحمد (في سبيل صحوة حقيقية: السعودية نموذجاً) والذي نشرته صحيفة (الشرق الأوسط) في ٣ يناير الجاري. والمقالة ببساطة تنزع نحو إثبات حقيقة واحدة أن السعودية تملك خصائص الفرادة بما يجعلها مؤهّلة لأن تكون نموذجاً يحتذى. هذه النيّة المبيّتة بدت ترسم خط سيرها منذ السطور الأولى، فقد كانت المسلّمات الجديدة التي استهّل بها الحمد مقالته تنبىء عن المبتغى الذي يروم وصوله. يقول عن السعودية مثلاً بأنها (الدولة التي إذا تغير فيها شيء تغيّر كل شيء من حولها). وأحسب أن هذه الفكرة مستمّد من التراث القومي العربي، ولا يستبعد أن تكون رد فعل على النموذج الناصري، أو مصر (الدولة ـ النموذج). وتاريخياً، كانت الأخيرة هي من يصدق عليها بأنه إذا تغير فيها شيء تغيّر كل شي من حولها، ولم نقرأ في الأدبيات القومية أو الدينية ما يجعل السعودية نموذجا عابراً للحدود.

ينطلق الحمد في بناء نموذجه عن الدولة السعودية من صورة إفتراضية تقوم على اعتبار السعودية (جغرافية جناحي الهوية العربية أي العروبة والإسلام)، على أساس أن (كل تاريخ العرب إنما يبدأ وينتهي في جزيرة العرب). ما يلفت الإنتباه هنا، أن الحمد يعيد إحياء فكرة دخلت في (الإرشيف)، ولم يعد يرجع إليها حتى أشد القوميين تطرّفاً، فالتاريخ الذي يتحدث عنه الحمد أصبح جزءً من الذاكرة القديمة غير المفعّلة، حتى وإن كان حقيقة. ما هو أشد غرابة أن يحاول الحمد ربط تاريخ العرب بالسعودية، لمجرد أن الأخيرة أقامت دولتها على جزيرة العرب، فيما لم نسمع قومياً عربياً أو إسلامياً، عقد مثل هذه الرابطة، ما لم يكن متحالفاً مع آل سعود الذين ينزعون إلى تأكيد مشروعيتهم الدينية من خلال التاريخ والجغرافيا.

لا نعلم على وجه الدقة مغزى التلاوة المدرسية لحقائق تاريخية وثقافية (لغة العرب الفصحى هي لغة قريش، وديانتهم هي إسلام محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأول وحدة عربية بعد عقود من تجاهلها هي وحدة الدولة السعودية، والأسرة المالكة الوحيدة التي انبثقت من الشعب المحلي هي الأسرة السعودية، فيما معظم الأسر الأخرى هي فرض استعماري، أو ورقة سياسية في اللعبة الدولية، والدعوة إلى صحوة دينية حقيقية كانت على يد محمد بن عبد الوهاب، الذي رغم الاختلاف معه في أمور معينة، فإنه ما كان لجزيرة العرب أن تتوحد سياسيا لولا حركته وميثاقه مع ابن سعود..).

رصف ممل لحقائق تاريخية، وتشويه مقصود لمفاهيم سياسية وكيانات جيوسياسية وأحلاف استراتيجية. كون لغة العرب الفصحى ماذا سيغيّر في صورة السعودية، ومالربط بينهما، ما لم يكن ثمة

الحمد، شأن كثير من المثقفين النرجسيين، ينظرون بحساسية مفرطة إلى الخارج المتقدّم، ما دفع بهم لتبني لغة دفاعية مفرطة في (مثلنة) الذات

نسب بين آل سعود وقريش، وكذلك ديانة العرب، أي الإسلام، ومادخل آل سعود أيضاً فيه، إن لم يكن الحمد قد خضع تحت تأثير من يرى في حقبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمثابة عصر الرسالة الثاني، كما ذهب إلى ذلك بعض الكتاب الوهابيين. في أحسن الفروض، أن الحمد يحاول صوغ ذاكرة الدولة ـ النموذج وتعميمها، عبر توشيج مفاهيم وحقائق تاريخية موجّهة من أجل إثبات أولاً تاريخانية الدولة السعودية وكذلك نموذجيتها.

ما يقوله الحمد عن أن الدولة السعودية هي أول وحدة عربية، لم يندمج في وعي السكّان المحليين ولا العرب ولا المسلمين على أنها مشروع وحدوي بالمعنى القومي والديني. فالحمد يدرك تماماً بأنها لم تكن وحدة طوعية بل قهرية، وقامت على سفك الدماء، ونهب الممتلكات، والسيطرة الغاشمة على المناطق، ولم يكن يدر في ذهن عبد العزيز بن سعود بأنه كان يناضل بوحي من تطلعات وحدوية عربية أو إسلامية، بل كان شعاره استعادة (ملك الآباء والأجداد)، وحتى لا يعاد تفسير الشعار فلم يقصد بـ (الآباء والأجداد) سوى آل سعود.

لو كان الحمد يكتفي بالقول بأن عائلة آل سعود تنتمي للسكان المحليين وليست طارئة، لكان الأمر مقبولاً، ولكن ما جاء بعد ذلك يجنح بالغاية الى مكان آخر حين قال (فيما معظم الأسر الأخرى هي فرض استعماري أو ورقة سياسية في اللعبة الدولية). ولا يبدو أن الحمد مدرك لما كتبه بصورة دقيقة، فالأسر الحاكمة في المنطقة معروفة، ولكل منها تاريخها المكتوب، وأغلبها على علاقة وطيدة بآل سعود منذ البداية، سواء في اليمن، أو مصر، أو مشيخات الخليج، ما لم يكن القصد من ذلك (الأشراف) في الحجاز وبلاد الشام والعراق. ومع ذلك، فإن مسألة (الفرض الاستعماري والورقة في اللعبة الدولية) بحاجة الى تأمّل قليلاً، لأن مذكرات المبعوثين الأجانب، والمقيمين الإنجليز في منطقة الخليج أمثال ديكسون، وجون فيلبي، وشكسبير والذين كانوا على صلة مباشرة بابن سعود، ويقدّمون له الاستشارات والمعونات الانجليزية مالية وعينية (عسكرية)، وكان يتلقى أثناء الحرب العالمية الاولى معونة إنجليزية عبر الشريف حسين تقدم إليه من مصر، ثم أصرّ عبد العزيز أن تصله المعونة بصورة مباشرة من الانجليز (أنظر جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي)، وقد استمرت المساعدات المالية الانجليزية لابن سعود حتى منتصف العشرينيات. وكان عبد العزيز يهدّد الانجليز بأنه سيتوجّه الى الروس في حال تأخروا في دفع المعونات له، وخصوصاً بعد احتلاله الحجاز ونقص المداخيل، وفعلاً قام ابن سعود باللجوء الى الروس وطلب من إبنه فيصل بزيارة موسكو بحثاً عن حل للمشكلة المالية لدولة ابن سعود. إشارة سريعة هنا: يحتفظ مركز الوثائق البريطانية بوصولات استسلام المعونات البريطانية لابن سعود التي كان يوقّع عليها ممثله في البحرين عبد العزيز القصيبي. الغرض من ذلك كله، أن العبث بالذاكرة التاريخية وتقسيم العوائل الحاكمة على أساس العلاقة مع الاستعمار لا يشكلان خياراً انقاذياً لآل سعود. ترصد وثائق

الدول الاستعمارية، ومذكّرات مقيميها، وحتى الضحايا من القريبين والبعيدين يذكرون ذلك، ما حققه إبن سعود من خلال صلاته الوثيقة بالانجليز ثم الاميركيين، بل كان على استعداد للتعامل مع الشيطان من أجل ملكه، وقد استعان بقوات وعتاد من انجلترا للقضاء على الاخوان في معركة السبله سنة ١٩٢٩، بل أن الحدود الدولية للسعودية رسمت بأيدي بريطانية، وتحديداً بيد بيرسي كوكس، وهو الذي احتل العراق قبل ذلك. والحديث يطول هنا أيضاً، ولكن لمجرد التوضيح حتى نبقي على نقاء الذاكرة.

يعتقد الحمد بأن ثمة ما يعاد النظر فيه في هذا البلد من مفاهيم كانت في وقت سابق قريب من (المحرّمات)، ولكن ما يلفت هنا عبارته (ومناقشتها خير مؤشر على ما يجري في عالم إسلامي بأسره)، وكأنه يعيد إنتاج مفهوم التمركز الأوروبي، بما يعزّز عقيدته بأن ما يتغير في الداخل يعكس نفسه أمواجاً في الخارج. وهذا من أفدح الأخطاء، لأن العالم في الخارج قد تغيّر من زمان، وتجاوز العقل السلفي السعودي منذ أمد بعيد، بل أن سلفيي الخارج صاروا جزء من الحراك السياسي والفكري المتقدّم في بلدانهم. إن محاولة افتعال (محورة سعودية) لا يصنع حقائقة جديدة، ولا يبدّل حقائق قائمة. وغاية ما يحققه مثل هذا العرض، أنه ينبيء عن صورة تحولات تجري في هذا البلد، وليست بالضرورة متقدّمة على خارجه، ولذلك فإن ما يرجو الحمد وقوعه من أن أي تغيير في السعودية سينعكس على ماحوله، هو مجرد توقّع لشيء مضى، فقد تغيير هذا الـ (ماحول) قبل أن ينجز الداخل السعودي تغييره، بل إن ما يتغير في الداخل هو نتاج تغييرات في الخارج وليس في الداخل، وهل (الفضائيات) و(الانترنت)، وكل أدوات العولمة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية منتجات سعودية؟!

وكذلك المفاهيم التي يتحدّث عنها الحمد والتي باتت موضع أخذ ورد مثل الاختلاط، فقد حسمت في كل أنحاء العالم باستثناء هذا البلد ومن هو على شاكلته والمتأثرة به وبفكره، بل انفردت السعودية بقضايا ليست مورد نزاع مثل (الخلوة غير الشرعية)، و(عدم تكافؤ النسب)، وغيرها من القضايا التي هي من مخلّفات الماضي، فهل ينتظر العالم في الخارج ما يتغيّرفي الداخل كيما يواكب عصر الانتقال الحضاري لدولة آل سعود؟

المفاهيم الأخرى التي تخضع للنقاش في السعودية مثل الجهاد ومتوالياته شبه محسومة بالنسبة لمن هم خارج الحدود، لولا أن جاء من هذه الديار وقام بتشويه المفاهيم تلك، وفرض نموذجه التأويلي الخاص والمتأخر على الخارج، ولم يكن الأخير يعيش إرباكاً مفاهيمياً، ولم يخض محنة الثنائية بين الحياة والموت، والخير والشر، والحق والباطل، والمؤمن والكافر كيما يقسم العالم الى من هم في الجنة ومن هم في السعير، ومن هم في عداد القتلى ومن هم في عداد الشهداء وفق معتقداتهم. إن تركيب الصورة النمطية الداخلية ومدّها الى خارج الحدود يمثل تجاوزاً على الواقع، والحقيقة التاريخية. نعم، قد يكون التغيير الذي يراد أن ينعكس خارجياً ماهو مرتبط منه بفعل داخلي، كما هو الحال بالنسبة لتصدير الفكر العنفي والسلفية القتالية الى افغانستان وباكستان والعراق واليمن والصومال وغيرها، وهي انعكاسات كارثية.

خلاصة ما يلزم قوله، رغم أن الكثير ما يزال بحاجة الى البوح به، أن السعودية ليست نموذجاً ولن تكون، ولا تملك خصائص النموذجية حتى وهي تهيمن على مواطن هوية وتاريخ وجغرافية الأمة، لأنها دولة خاصة غير

لم يحقق النموذج السعودي أي اختراق لأنه مؤسس على قاعدة أيديولوجية، ومصمّم لخدمة فئة ما يجعل السعودية (جماعة من أجل ذاتها)

قابلة للتعميم، ودولة فئة، لا تشترك مع باقي الفئات التي تقطن هذه الأرض، ودولة طائفة لا تتقاسم مع باقي طوائف المسلمين الأخرى في هذه الأرض، وإن التغييرات التي تحصل فيها ليست بالضرورة تغييرات جماعية بل هي تغييرات في حدود الجماعة الغالبة والحاكمة، وهي المسؤولة عن كوارث الداخل والخارج، وهو ما أسهب الحمد في الحديث عن منجزاتها الدموية حين رسم صورة الصحوة المأمولة مقابل الصحوة العنفية المسؤولة عن غزوات مانهاتن ودار السلام والرياض والرباط، وليبشّر بنموذجه الذي لا يلد إلا نكدا.

ما يطمح العالم الخارجي الى رؤيته في السعودية هو ليس أن تنتج نموذجاً يحتذى، فقد توصّل كثيرون الى حقيقة الإمكانية المعدومة في هذا البلد، ولكن ما يرجوه من السعودية هو أن تقفل صندوق (باندورا) الخاص بها، فلم يعد يعني أحدا أن تكون السعودية غنية أو ملتزمة بتطبيق أحكام الشريعة، بل يكفيهم منها ألا تنقل أمراضها الثقافية والايديولوجية والاجتماعية الى أراضيها. ما يجهله الحمد، ربما، هو صورة السعودية لدى الآخر، في الخارج، فلا يكاد يتذكّر أحد في مغرب العرب ومشرقهم السعودية إلا ويتذكر البذخ الباعث على الإزدراء والشذوذ الأخلاقي المثير للإشمئزاز والتآمر على قضايا الأمة بإسم الدين والعروبة. فليذهب الحمد الى كل عواصم العرب، وليسأل عن صورة الداخل لدى الخارج. ليست المسألة ذات طبيعية إثنولوجية، ولا شوفينية متولدة من حميم الخلافات السياسية، فهي صورة قديمة ترافقت مع النفط، وانتقلت مع الذين يجوبون العالم بحثاً عن متع محرّمة وحيوانية.

كانت الحياة بالنسبة لشعوب الخارج قيمة إنسانية ودينية وحضارية، وتحوّلت بعد تسرّب أمواج الصحوة الى الخارج إلى مفسدة للدين والدنيا، فأصبح الموت سلاحاً لمواجهة الحياة، وخياراً وحيداً يسير فيه اليائسون من إصلاح الدنيا. هذه الحياة التي كان يجهلها شعوب الخارج قبل أن يأتونهم المنذرون الجدد، فتلوا عليهم قائمة مفتوحة من المحرّمات، وأغلقوا أبواب الحياة عليهم، وقالوا لهم إن الموت سبيلكم فاختاروا الوسيلة المناسبة للوصول إليه. أليس هذا ما كان يجري بالقرب من مجالس مثقفينا، الذين كانوا يسمعون خطب المساجد والدورات الدينية، وحتى صالات الجامعات كانت تمتص أصداء أولئك المبشّرين بحياة لا حياة فيها، وبموت لا نجاة منه.

هل هذا هو النموذج الذي ينتظره الخارج، وهل هي الصحوة التي يمكن أن تنشق منها صحوة أخرى تبشّر بعصر جديد، حيث لا يمكن توقّع أن يولد النور من الظلمة، والخصب من الجدب، والحب من الكره، والسلام من الحرب، ما لم تتم بعثرة شاملة لكل الإرث المسؤول عن توليد العنف، والحقد والبغضاء والدمار وغزوات سبتمبر وما تلاها. بمعنى آخر إعادة خلق مجتمع جديد لا ينتمي فكرياً ولا عقلياً الى المجتمع الديني الوهابي الحالي، وكذلك تبديل أسس الدولة السعودية ومبادئها وتحويلها الى دولة وطنية وديمقراطية كاملة حتى تصبح نموذجاً، ولا نظنهم فاعلين!

صرخة احتجاج على تدميرها في كتاب:

الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة

يحي مفتي

العنوان أعلاه هو الكتاب الثاني عشر من سلسلة الكتب التي صدرت عن مؤسسة الفرقان الاسلامي، وهو اول كتاب من السلسلة فيما يبدو صدر في العام الحالي ٢٠١٠. الكتاب من تأليف الدكتور عبدالوهاب ابراهيم ابو سليمان، عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، وهو العالم الحجازي الوحيد في الهيئة والذي جمع العلوم الشرعية وفق نسقها التقليدي، والعلوم الحديثة، والمناهج الجديدة في البحث. فقد تتلمذ ابو سليمان على يد علماء الحرم المكي الشريف خاصة العلامة الشيخ حسن بن محمد المشاط، وواصل دراسته الاكاديمية حيث حصل على الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٧٠، كما حصل على دبلوم في القانون من كلية لندن للدراسات القانونية، وعمل ابو سليمان عميداً لكلية الشريعة بجامعة أم القرى، قبل ان يعين عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي. وقد كان ابو سليمان العالم والمحقق الأكبر بين كل أعضاء هيئة كبار العلماء، وهو يختلف عن علماء الوهابية الآخرين الذين يسيطرون على النشاط الفكري والثقافي والديني في السعودية.

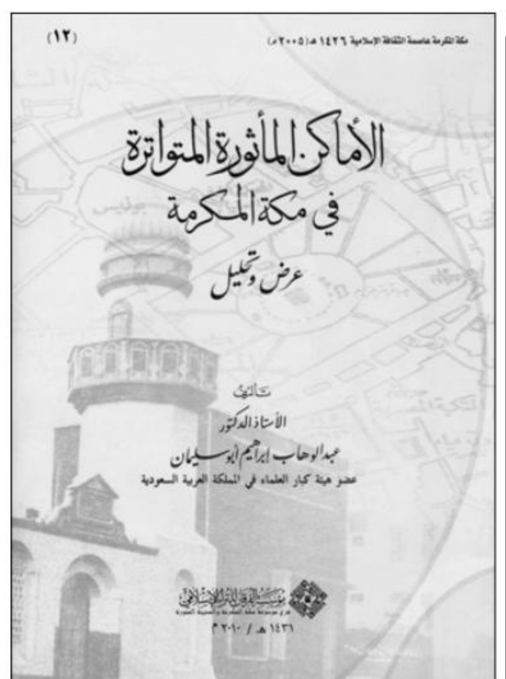
كتاب ابو سليمان الجديد هذا، يطرق موضوعاً لا يطرقه الوهابيون وعلماؤهم، بل أن مقاربته له، تختلف بل تتناقض مع الرؤية الوهابية فيما يتعلق بأصل الرؤية والموقف الديني من الآثار الاسلامية وكيفية التعامل معها. بل يمكن اعتبار الكتاب (صرخة احتجاج) ضد ما تقوم به معاول الوهابية من تدمير لمعظم تراث النبي والصحابة والمسلمين في الأماكن المقدسة بحجة منع الشرك والبدع.

الكتاب الجديد قدّم له الشيخ أحمد زكي يماني باعتباره المسؤول الأول عن مؤسسة الفرقان. وما جاء في التقديم: (إن الإسلام دين يتميز عن كل الأديان بأن تاريخه على الأرض، يبدأ بمكان ولادة الرسول الذي بعثه الحق بهذا الدين القويم نبينا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وما تبقى من آثار حياته في مكة المكرمة. ويشمل ذلك بعثته وكل الأماكن التي مستها قدمه الشريفة، أو صلى فيها، أو قام بعمل ما فيها. ومثل ذلك في المدينة المنورة، بعد أن هاجر اليها، وما تبع ذلك من أمور حدثت في أماكن محددة، فارتبطت تلك الأماكن بتلك الحوادث، ومازالت تتناقلها الأجيال المتعاقبة، حيث أصبحت آثاراً لها حيِّز واسع في قلوب المسلمين).

وأشار يماني الى حقيقة أن وجود هذه الأماكن الأثرية من نعم الله، وأنها من الأسباب التي تقوي إيمان الأجيال الجديدة، وتزيد في ارتباطهم بإسلامهم وتمسكهم به. وقارن يماني بين ما يقوم به الوهابيون واليهود بالقول أن الأخيرين ينفقون البلايين حتى تكون لهم آثار مزعومة تربطهم بتاريخ مزعوم. وأكد بأنه (لا يصح أن نهدم آثاراً لنا ثبتت بالتواتر بحجة أو أخرى. فإن كانت هناك نتائج سلبية ندّعيها، فعلينا معالجة تلك النتائج دون إزالة هذا الإرث التاريخي الثمين. فإن لم نلتزم بذلك فإن التاريخ لن يرحمنا).

وانتقد من يشكك بتلك الآثار بقوله: (إنكار صدق هذه الأماكن الثابتة بالتواتر بين العلمي والمحلي سابقة خطيرة، تفتح أبواباً كثيرة، فيما يتصل بكثير من المشاعر المقدسة للمتربصين بالمساس بالشريعة الإسلامية الخالدة) وتمنّى من مشايخ الوهابية ـ دون أن يسمهم ـ أن يعوا مآلات أقوالهم وأفعالهم.

المؤلف الدكتور ابو سليمان رأى بأن الأماكن التاريخية (ذاكرة الأمم الحية، والشاهد القائم الذي لا يكذب، والدليل الناطق الباقي إذا اندثرت الأجيال)



وأضاف: (مكة المكرمة مهد الإسلام، ومبعث النور، ومنطلق خاتمة الرسالات، شرفت بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم، واحتضنت كبار صحابته الكرام على أرضها المباركة، شهدت عرصاتها، ومرابعها ملحمة الصراع بين الحق والباطل، وزكت تربتها بالدماء الزكية، دماء الشهداء. في كل شعب منها وزاوية، وبقعة أثر خالد، ومنار مضيء يحكي قصصاً من جهادهم، وأمثلة من كفاحهم، تظل وقائعة حية في نفوس الأجيال المسلمة سماعاً ومشاهدة، تكتحل بها نواظرهم، وتتردد على أسماعهم مآثرهم، ترسخ بها معاني الإيمان، وتتقوى بها عزائمهم، وتتجدد بها هممهم لنشر العقيدة السليمة، والمبادئ، والقيم الصحيحة، يستنطقون من خلال السيرة، والمسيرة، والآثار القائمة أمجاد التاريخ الإسلامي في مراحله المبكرة ليبعث حيّاً في النفوس).

ولأن مكة ضمت العديد الكثير من الأماكن التاريخية المهمة في تاريخ الاسلام، فقد حظيت بالإهتمام على مر العصور من قبل العلماء والباحثين والمحدثين والفقهاء والمؤرخين والأدباء منذ القرن الأول الهجري، والذين عملوا على ترسيم تلك الأماكن وتوقيعها وتحديدها تخليداً للحدث، مرتبطاً بمشاهدة المكان، إذ للمكان إيحاءاته وإشعاعاته. ويأتي بحث الدكتور ابو سليمان مكملاً



مولد الرسول تحول الى مكتبة بعد أن تم تدمير المبنى

لتلك البحوث التي بدأها السلف الصالح مع صياغة تحليلية جديدة. وما يجعل الكتاب ذا أهمية خاصة أن الكثير من الأماكن الأثرية قد اختفى وأزيل على يد الوهابيين. ولذا فإن البحث يهتم برصد تلك الأماكن من جديد، حتى تظل شواهد تاريخية عاصرها أفضل الخلق، وأعظم أجيال الإسلام، تظل محفورة في ذاكرة الأجيال الجديدة، وحتى لا يصبح تاريخنا الإسلامي وماضينا أسطورة مثل ما حدث لبعض الامم السابقة.

وبحث الدكتور أبو سليمان يقع في ٢٧٢ صفحة، قسّمه في ستة فصول، لينتهي بخاتمة وملاحق تحوي تراجم لنخبة من المؤلفين في الأماكن المأثورة، وصور وخرائط ومصادر وغيرها.

التأصيل في التدوين للأماكن المأثورة في مكة

في الفصل الأول، يتطرق الباحث الى بداية التدوين للأماكن المأثورة بمكة، من خلال رسالة التابعي الجليل الإمام الحسن البصري (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م). حيث ذكرى البصري المواضع التي يستجاب فيها الدعاء، وعدّد خمسة عشر موضعاً. ثم يأتي المؤلف بنماذج من مواقف السلف الصالح من الأماكن المأثورة متتبعاً كتب الحديث كالإمام البخاري الذي أفرد لها في صحيحه عنواناً: (باب المساجد التي على طريق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم). كما تتبع أقوال المحدثين وكتب المؤرخين، من ذلك ما جاء في الطبقات الكبرى، أن عطاء الخراساني قال: (أدركت حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبدالملك يقرأ بإدخال حُجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله، فما رأيتُ أكثر باكياً من ذلك اليوم). وقال سعيد بن المسيب: (والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر).

ووصف عمران بن أبي أنس، حُجر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حُجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حُجر لها، على أبوابها مسوح الشعر. ذرعت الستر فوجدته ثلاثة اذرع في ذراع والعظم، أو أدنى من العظم. فأما ما ذكرت من كثرة البكاء، فلقد رأيتني في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم: أبو سلمة بن عبدالرحمن، وخارجة بن زيد وإنهم ليبكون حتى اخضل لحاهم الدمع. وقال يومئذ ابو أمامة: ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء، ويروا ما رضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده.

ويسند الإمام الأزرقي الى ابن جريج، عن اسماعيل بن أمية ان خالد بن مضرس فيما يخص مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد الخيف، أخبره أنه رأى أشياخاً من الأنصار يتحرّون مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم أمام المنارة قريباً منها. وبه الى الأزرقي قال: قال جدي: الأحجار التي بين يدي المنارة هو موضع مصلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يزل الناس وأهل العلم يصلون هنالك. هكذا وبعيداً عن الغلو والمبالغة او التجافي والتقصير والإهمال تعامل المسلمون في الصدر الأول مع الآثار النبوية وكل ما يتصل بها أو بالصحابة الكرام رضي الله عنهم، حافظوا على تدوين كل أثر يتعلق بهم وبتاريخهم، استشعاراً لأهميته وليبقى ذخراً باقياً للأجيال القادمة التي لم تحظ بمشاهدتها.

ورأى القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/ ١١٥٩م) أن إعظام وإكبار النبي يعني (إعظام جميع أسبابه، وإكرام جميع مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة، ومعاهده، وما لمسه بيده، أو عرف به) وذكرة أدلة وشواهد على ذلك من عمل الصحابة رضوان الله عليهم. وشمس الدين السخاوي وجّه الى هذا الموقف ايضاً، حيث (إن سبب النجاة: الإستقامة في الأحوال والأفعال، ولا يتم ذلك إلا بسائق وقائد، كصحبه الصالحين، أو سماع أحوالهم، والنظر في آثارهم عند تعذر الصحبة، حيث تتصور النفس أعيانهم، وتتخيل مذاهبهم، لأنك لو أبصرت لم يبق عندك إلا التذكر والتخيل، وكان السمع كالبصر، والعيان كالخبر).

المتواتر من الأماكن المأثورة في المدونات التاريخية

وهي على قسمين:

الأول ـ ويتعلق المتواتر في مؤلفات السيرة النبوية، حيث يستعرض المؤلف ما جاء في كتب علماء السيرة، فبعضهم يذكر ما له علاقة بسيرة النبي على سبيل الجزم، وبعضهم يذكر كل ما يحكى من أقوال. وقد استعرض المؤلف المدونات التي ورد ما يشير الى الأماكن المأثورة، مثل:

ـ كتاب (الإستيعاب في أسماء الأصحاب) لابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) حيث جاء ما يتصل بمكان ولادة الرسول.



الغرفة التي كان يتعبدها فيها الرسول في منزل السيدة خديجة الذي ولدت فيه فاطمة الزهراء، وقد دمّره الوهابيون

ـ كتاب (الروض الآنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام) تأليف أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) الذي تطرق هو الآخر الى مكان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ كتاب (امتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع) للمؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). حيث بين ان الرسول ولد في دار عرفت بدار ابن يوسف من شعب بني هاشم.

ـ كتاب (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م). حيث ناقش مكان ولادة الرسول، وقدّم أربعة آراء.

الثاني ـ ما جاء من أماكن مأثورة في مدونات التاريخ المكي الخاص. حيث يؤكد الكاتب بأنه لم يخل كتاب في تاريخ مكة سواء لمؤلفين متقدمين أو متأخرين الى القرن الرابع عشر الهجري ـ إلا ما ندر ـ إلا وخصص فصلاً عن

- كتاب (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) للحافظ ابي الطيب تقي الدين محمد بن احمد بن علي الفاسي المكي المالكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، حيث خص الباب الحادي والعشرين (في ذكر الأماكن المباركة التي ينبغي زيارتها الكائنة بمكة المشرفة وحرمها وقربه) وقد صنفها الى: مساجد، دور، جبال، ومقابر. من المساجد ذكر: (مسجد بقرب المجزرة الكبيرة يقال ان النبي صلى المغرب فيه؛ مسجد الراية؛ مسجد المختبا؛ مسجد بأسفل مكة ينسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه) وهناك مساجد خارج مكة مثل: (مسجد الإجابة، مسجد البيعة؛ مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار المنحر؛ مسجد الكبش بمنى؛ مسجد الخيف بمنى؛ المسجد الذي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بالتنعيم؛ مسجد الفتح بالقرب من الجموم).

وانتقل الحافظ الفاسي المالكي الى (ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة المعروفة بالمواليد) التي قال أنها مساجد معروفة عند الناس بـ (المواليد) وهي: (مولد النبي، اي المكان الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم؛ مولد فاطمة بزقاق الحجر، وهو في بيت خديجة الذي يحتوي على ثلاثة مواضع أحدها هو والثاني موضع يقال له قبة الوحي ملاصق لمولد فاطمة، والثالث موضع يقال له المختبأ ملاصق لقبة الوحي؛ مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قريباً من مولد النبي، وهو مشهور عند أهل مكة؛ مولد جعفر الصادق بالدار المعروفة بدار أبي سعيد بقرب دار العجلة). ثم تطرق صاحب الكتاب الى ذكر الدور المباركة بمكة وكان من بينها (دار أم المؤمنين السيد خديجة؛ دار لأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ دار الأرقم المخزومي؛ دار العباس بن عبدالمطلب). ثم ذكر المؤلف مساجد أخرى لها علاقة بجبال مكة وحرمها مثل: (مسجد المرسلات).

- كتاب (الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) لجمال الدين ابن ظهيرة القرشي المخزومي (ت ٩٨٦هـ - ١٥٧٨م). فذكر من الآثار ما هو مكرر وبدأ بالمواليد مثل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ومولد السيدة فاطمة في دار خديجة؛ ومولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه؛ ومولد سيدنا حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ موضع ولادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ مولد جعفر الصادق، وذكر المؤلف المساجد المأثورة في منى، وبين المساجد التي وردت لدى الأزرقي واختفت أو لم تعد معروفة في وقته.

- كتاب (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكة المشرفة) لمحمد قطب الدين النهروالي المكي الشهير بالقطبي (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) حيث ختم كتابه بذكر المواضع المباركة والأماكن المأثورة بمكة المشرفة، حيث اقتصر حديثه على المعروف منها مما أوردناه سلفاً.

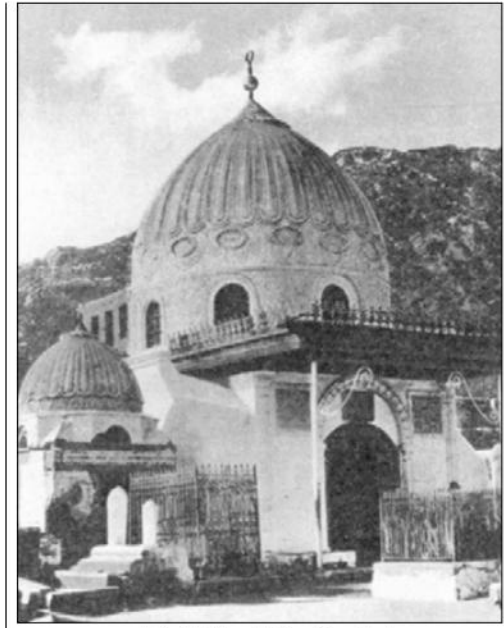
- كتاب (الإرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء) لعلي بن عبدالقادرر الطبري (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٩٥م) واستقصى ما هو موجود في وقته من تلك الأماكن مما ذكره المؤرخون ووصف حال تلك الأماكن الأثرية.

ثم تقصى الباحث ابو سليمان ما جاء في كتب المؤرخين اللاحقة حتى العصر الحالي فيما يتعلق بتلك الأماكن الأثرية.

كما تقصى الباحث ما تواتر من الأماكن المأثورة في مكة استقلالا، المنثور منها والمنظوم، وبين مصادرها من الكتب والدواوين.

المتواتر من الأماكن المأثورة في المدونات الفقهية

وتقصى الباحث الدكتور ابو سليمان ما جاء في المدونات الفقهية، وبدأ بكتب المناسك، وما ذكره الفقهاء فيها. واختار بعض النماذج المتميزة من تلك الكتب مثل كتاب (مثير الغرام الساكن على أشرف الأماكن) لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) حيث ذكر ١٨ مسجداً بينها: مسجد الشجرة، ومسجد الجن، ومسجد ابراهيم، والتكا، وغيرها. وأما كتاب (البحر العميق في مناسك العمرة والحج الى البيت العتيق) لمحمد بن أحمد بن محمد بن الضياء القرشي (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) فذكر المساجد والمواليد وما أسماه بالدور المباركة كدار خديجة وفاطمة رضي الله عنهما. وفي كتاب (هداية السالك الى المذاهب الأربعة في المناسك) من تأليف الإمام عز الدين بن جماعة الكناني (ت ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م)، حيث اشار الى تطور الفقه وفق



قبر السيدة خديجة والى جانبها قبر القاسم ابنها قبل هدمهما من قبل الوهابيين

الأماكن المأثورة في مكة. واستعرض في هذا السبيل عدداً من الكتب التاريخية بينها:

- كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) تأليف أبي الوليد محمد الأزرقي (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) الذي ذكر المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة المكرمة، وما فيها من آثار النبي صلى الله عليه وسلم، وما صح من ذلك، وقد عينها المؤرخ وحدد أماكن وجودها وما يتعلق بها من أحداث، مع الكشف عن صحة نسبتها. وقد حدد ١٦ أثراً هي: (مكان مولد النبي، ومنزل السيد خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ ودار الأرقم بن أبي الأرقم؛ ومسجد بأعلى مكة عند الردم عند بئر جبير بن مطعم؛ مسجد الجن؛ مسجد الشجرة بأعلى مكة؛ مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم عند قرن مسقلة؛ مسجد السُرر؛ مسجد بعرفة عن يمين الموقف؛ مسجد الكبش بمنى؛ مسجد بذي طوى؛ غار حراء؛ غار ثور؛ مسجد البيعة بشعب العقبة؛ مسجد الجعرانة؛ مسجد التنعيم). ورفض الأزرقي صحة أماكن أخرى نسبت للرسول ولأنبياء آخرين عليهم جميعاً الصلاة والسلام من ذلك: مسجد بأجياد يقال له مسجد المتكا؛ ومسجد على جبل أبي قبيس.

- كتاب (أخبار مكة في قديم الدهر وحديثة) لمحمد بن اسحاق الفاكهي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) وقد خصص باباً بعنوان (المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة وآثار النبي صلى الله عليه وسلم فيها وتفسير ذلك). وقد ذكر الفاكهي تسعة عشر موضعاً هي: (البيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بيت النبي الذي كانت تنزله خديجة رضي الله عنها؛ الموضع الذي بأجياد الصغير (المتكا)؛ مسجد دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ مسجد بعرفة؛ مسجد بأعلى مكة عند الردم الأعلى؛ مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الحرس؛ مسجد البيعة - بيعة الأنصار ليلة العقبة، عقبة منى؛ مسجد بذي طوى؛ مسجد الشجرة؛ مسجد السرر؛ مسجد عند البرّامين؛ مسجد عند شعب علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ مسجد بذي طوى ثان؛ مسجد في جبل ثور؛ مسجد في جبل حراء). وهكذا اتفق الفاكهي مع الازرقي في العديد من المواقع واضاف اليها موضعين أثريين.

تلك الاماكن الأثرية، فقد (استحب ـ كما قال بعض الشافعية ـ زيارة المواضع المشهورة بالفضل، كالموضع المعروف بمولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكالموضع المعروف ببيت خديجة رضي الله عنها.. وكالمسجد الذي في دار الخيزران عند الصفا).

ومن جهة التحليل التحليل العلمي للعناوين الفقهية في كتابات الفقهاء للأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة، لاحظ المؤلف ابو سليمان أن معظم المدونين للتاريخ المكي هم من الفقهاء والمحدثين المكيين، وقد حرصوا على تخصيص فصل مستقل للأماكن التاريخية المأثورة وبيان الثابت الصحيح منها، في دقة كاملة، وحرص شديد على بيان الصحيح نسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وبيان غير الصحيح. وما يدل على ذلك عناوين كتاباتهم، وتسجيل وقوفهم عليها واختبار صحتها. واضاف ابو سليمان بأن هؤلاء الفقهاء القضاة والمحدثين لا تخدعهم مقالات العامة، ولا ينساقون مع الشائع والذائع، وقد دون معظمهم المنهج العلمي لاختبار الصحيح والزائف من تلك الأماكن المأثورة.

ومن الملاحظ ايضاً انه لم يفت معظم الفقهاء تقديرهم لتلك الأماكن من خلال العناوين التي وضعوها في صياغات مختلفة: (الأماكن المشهورة: الأماكن المباركة: الأماكن المعظمة: المشاهد المكرمة: الأماكن التي يستحب زيارتها). ومع ان بعضهم لم يستخدم المصطلح الفقهي (يستحب) إلا ان الصياغات جاءت للحث على زيارتها. وفي كثير من الأحيان جاء ذكر لفظة (الاستحباب). فالإمام الأزرقي وضع عنواناً يقول: (ذكر المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة المكرمة وما فيها من آثار النبي صلى الله عليه وسلم وما صح من ذلك). والفاكهي كان عنوانه: (المواضع التي يستحب فيها الصلاة بمكة، وآثار النبي صلى الله عليه وسلم فيها وتفسير ذلك). والإمام ابن الجوزي اختار: (ذكر أماكن بمكة يستحب فيها الصلاة والدعاء). والحافظ أبو العباس الطبري كتب: (فينبغي لمن قصد آثار النبوة أن يعم بصلاته الأماكن التي هي مظنّة صلاته صلى الله عليه وسلم فيها رجاء أن يظفر بمصلى النبي صلى الله عليه وسلم). والإمام يحي بن شرف النووي كتب: (يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل في مكة والحرم). والعلامة الفقيه برهان الدين إبراهيم بن فرحون المدني المالكي (ت ٧٩٩هـ) اختار عنوان: (في ذكر آثار شريفة بمكة ينبغي أن


معالم بيت السيدة خديجة قبل أن يطمس نهائياً

تقصد للتبرك بها). وقال قاضي مكة ومفتيها الامام ابو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي الحنفي (ت ٨٥٤هـ): (فصل في ذكر الاماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها التي يستحب زيارتها والصلاة والدعاء فيها رجاء بركتها). والسمهودي (ت ٩٢٢هـ) تحدث عن الأماكن (التي دعا بها صلى الله عليه وسلم وكلها أماكن إجابة، ولذا يستحب الدعاء فيها).

ويخلص المؤلف الدكتور ابو سليمان الى أن (الصلاة في المكان الذي صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأي قصد مشروع لا ينقض عروة من عرى التوحيد ما دامت العبادة لله وحدة، خالصة له، ومما هو مسلم أن الأمكنة تتفاضل بحسب من حل بها، وما حلّ فيها، يقول الشريف العلامة أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني ـ ت ١٣٤٢هـ: إن الأعمال تشرف بشرف الأزمنة، كما


هنا كانت دار الأرقم بن الأرقم التي شهدت إسلام عمر رضي الله عنه وقد أزيلت

تشرف بشرف الأمكنة، ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، فوجب أن يكون العمل فيه أفضل).

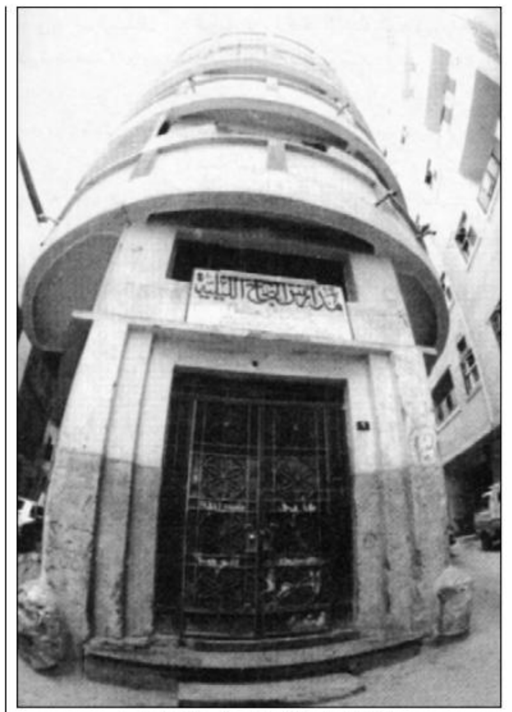
التواتر المحلي

ويفرد المؤلف الدكتور عبدالوهاب ابو سليمان فصلاً من بحثه عن (شواهد التواتر المحلي للأماكن المأثورة في مكة المكرمة) فيبدأ ببحث مظاهر التواتر المحلي، وأوله النقل بالتوارث، فيعدّه من طرق الإثبات، حيث يؤكد أنه قد اتضح من التواتر المحلي المكي في القديم والحديث ونقل الجم الغفير من الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة تعيين الأماكن المأثورة، وتحديدها وهي معروفة معلومة للمكيين، مشهورة بين علمائهم ومثقفيهم وعامتهم، كان معظمها قائماً ومشاهداً قبل بدء التوسعة للحرم الشريف عام ١٣٧٥هـ وما تلاها من توسعات. ثم يورد المؤلف نصوصاً من كتابات المؤلفين السابقين التي تشير الى التواتر المحلي، مثلما جاء في كتاب (الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف)، وكتاب (البحر العميق) للفقيه ابن الضياء المكي القرشي.

ثم يسرد المؤلف كيف ان تلك الأماكن الأثرية التي لم يهدمها آل سعود تحولت الى مكتبة او غير ذلك، يقول إن ازالة الاماكن الأثرية (اعتداء على التاريخ ومشاعر المسلمين، وتقديسها بصورة تتنافى مع العقيدة الصحيحة أمر مرفوض، والعلاج لهذه الظاهرة من بعض الجهلة من خارج البلاد يكون بالتوعية المفيدة عن طريق تنظيم جموع الزائرين لمشاهده هذه الأماكن بقيادة دليل يرشدهم ويعرفهم بتاريخ الإسلام ونشوئه على رحابها، ومحاربته لكل المظاهر التي تتنافى مع التوحيد الخالص الذي ينبغي ان يتحلى به المسلم في تعامله مع الآثار).

آراء العلماء في زيارة الأماكن المأثورة المتواترة في مكة المكرمة

ويبدأ المؤلف بالعلماء المعترضين رغم أنهم أقليّة، وأولهم ابن تيمية الذي اعترض على مصنفي المناسك قولهم باستحباب زيارة مساجد مكة وما حولها، ورأى ذلك من البدع المحدثة، كما أنكر ابن تيمية زيارة الأماكن التي قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من رسالته بمكة المشرفة، مثل غار حراء وغار ثور. ومعلوم ان المعترضين يتذرعون بارتكاب بعض المحظورات الواقعة من بعض الجهلة لدى زيارة هذه الأماكن، فرأى المعترضون سدّ الذرائع بغلق هذا الباب كاملاً صيانة لصفاء العقيدة بزعمهم، وحسب ابن تيمية لأنها



وهنا كان مولد الإمام علي رضي الله عنه تحول الى مدرسة وقد أزيل بأمر آل سعود

(ذريعة الى اتخاذها أعياداً، والى التشبه بأهل الكتاب، ولأن ما فعله ابن عمر لم يوافقه عليه أحد من الصحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من المهاجرين والأنصار انه كان يتحرى قصد الأمكنة التي نزلها النبي صلى الله عليه وسلم). وفي نفس الإتجاه المعارض ما رآه علماء الوهابية عامة، وممن كتب في الأمر سعد بن ناصر الشثري (حكم زيارة أماكن السيرة النبوية)؛ و عبدالعزيز بن عبدالله الجفير في كتابه (الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الاسلامية)؛ وأبو عمر الماحي، في كتابه: (ماذا يقولون عن التبرك وتقبيل اليد). وغيرها كثير.

أما المؤيدون فهم جمهرة علماء الأمة منذ قديم الزمان وحتى حديثه، ويوضح ابو سليمان آراءهم وأدلتهم. يبدأ بمناقشة أن الأماكن المأثورة اماكن مباركة، فيراه وصفاً كاشفاً، فالأماكن تتفاضل بحسب أوصافها ومن حل فيها وما حدث عليها، ويستدل على ذلك بالآية الكريمة: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله). ويرى ان للبركة جهتان: النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في قطر ما؛ والثانية النعم من الأشجار والمياه وغير ذلك. ويخلص الى أن كل مكان حل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مكان مبارك، وأنه لا يخالف هذا الرأي مسلم جاهل، فضلاً عن عالم عاقل. ثم يأتي باستشهادات وأقوال العلماء في هذا الأمر. ولأن المكان مبارك، فإن النتيجة يكون الدعاء فيه مستجاباً بإذن الله عز وجل، وهذا ما اعترف به أئمة التفسير.

ثم يأتي الى أقوال الصحابة وبعض أفعالهم، فابن عمر كان يتبرك بتلك الأماكن. وهناك أحاديث ووقائع تفيد في هذا الأمر، مثل الحديث الذي أورده البخاري (عن عمر رضي الله عنه يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بوادي العقيق يقول: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة). فضلاً عن هذا فقد ثبت زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض كبار أصحابه لغار حراء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء وهو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اهدأ فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد). فضلا عن ان السلف الصالح زار تلك الأماكن المأثورة وصلوا فيها وقدّروها. فالخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز تتبع فبنى المساجد التي صلى فيها رسول الله بالحجارة المنقوشة، وتفيد المصادر أنه كان أول من بنى محراباً في هذه المساجد، وأطلق المؤرخون على طرازها المعماري (البناء العمري) واستمر الأعيان والأمراء وغيرهم من عامة المسلمين يهتمون بتلك المساجد الأثرية عمارة وتجديداً وترميماً وتوسعة.

ويقر ابو سليمان بأنه ليس من الضروري ان يوجد نص من كتاب أو سنة على الاستحباب، ذلك أنه مما هو مقرر فقهاً أن: المندوب كما يستفاد من أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام، فكذلك كان يترك الشيء وهو يستحب فعله لدفع المشقّة عن أمّته.

الواقع المعاصر للأماكن المأثورة في مكة

ما هو واقع الأماكن المأثورة في مكة في الوقت المعاصر؟ هذا هو مبحث الفصل الأخير من الكتاب. وهو يحمل المأساة. ذلك أن معظم الآثار الاسلامية بقيت الى أن جاء الوهابيون فدمروا معظم التراث الاسلامي، بحجة سد الذرائع أو بحجة توسعة الحرم.

المؤلف الدكتور ابو سليمان اشار الى ما اندثر في التاريخ القديم من الآثار، ولكنه ـ وبصورة ضمنيّة ـ يحمّل العهد الوهابي السعودي جريمة التدمير المتعمد للأماكن المأثورة في مكة والمدينة. ويحمل التوسعات التي حدثت العام الماضي ٢٠٠٩ مسؤلية ازالة أحياء اثرية كاملة مثل: حي الشامية، والشبيكة، وحارة الباب، والقرارة، والراقوبة، وسوق المدعى، وسوق الجودرية، حتى وصلت الهدميات الى شمال مكة سوق المعلاه، وربما أتت على مسجد الراية التاريخي الذي سماه الوهابيون (جامع خادم الحرمين) إمعاناً في طمس الآثار الاسلامية. ويضيف: (تغيرت البلاد ومن عليها... فلم يبق من أحياء مكة القديمة حول الحرم الشريف وما ضمته من أماكن تاريخية مأثورة إلا الأسماء والتاريخ المكتوب).

في القرن العاشر الهجري، ومن خلال ما ذكره جمال الدين بن ظهيره في كتابه (الجامع اللطيف) فإن هناك ستة مواضع ذكرها الأزرقي في القرن الثالث الهجري، لم تعد موجودة، وهي: مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر؛ مسجد بأجياد، مسجد الشجرة، مسجد بذي طوى في علو مكة بين الثنيتين، مسجد السّرر، مسجد بعرفة يقال له مسجد ابراهيم.

ولكن الطامة الكبرى جاءت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، أي في العهد السعودي، فما أن احتلّ الوهابيون السعوديون الحجاز حتى بادروا الى تدمير ما طالته ايديهم من الآثار، حتى كادوا يهدمون قبر الرسول، ووصل الأمر العام الماضي الى إغلاق المنافذ عن غار حراء ومقبرة حواء بجدة، ولا يكاد يمضي عام بدون تدمير أثر مما تبقى من تلكم الآثار الاسلامية المعروفة. وكانت التوسعة الاخيرة في العام الماضي قد أتت على معظم حارات مكة القديمة والتي تحوي بيوت الصحابة وغيرهم مثلما فعلوا ذات الأمر ومنذ زمن بعيد في المدينة.

المؤلف يتلطف محاولاً تبرير التدمير بالتوسعة وكثرة الحاج، لكن معظم الآثار تم تدميرها قبل التوسعات وقبل زيادة الحجاج، وأكثرها تم في العشرينيات الميلادية من القرن العشرين الماضي.

لكن المؤلف الدكتور أبو سليمان يأتي بالتفصيل على المواقع المأثورة في مكة فقط والتي دمرها الوهابيون السعوديون، فيعددها، ويفصل فيها أحياناً، مثل:

ـ منزل السيدة خديجة رضي الله عنها (مولد السيدة فاطمة). لم يشأ الملك عبد العزيز ان يسمح للوهابية بتدميره نهائياً فتم تدميره وبناء مدرسة تحفيظ للقرآن فوق المبنى، ولكن مع هذا تم تدميره أخيراً عام ١٩٨٩م.

- دار الأرقم بن أبي الأرقم. وسميت لاحقاً بدار الخيزران نسبة الى أم الخليفة هارون الرشيد. وحين سيطر الوهابيون على الحجاز دمروه وحولوه الى مدرسة للحديث. لكن المبنى ما لبث أن أزيل وما حوله في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

- مولد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحسب المؤلف فقد تقرر هدم منطقة شعب علي والمنازل على جبل أبي قبيس بما فيها مدرسة النجاح الليلية المقامة في موقع مولد سيدنا علي بن أبي طالب، وقد أزيل حي شعب بني هاشم (سوق الليل) عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- مسجد النحر بمنى، أزيل بحجة توسعة الطرق الى الجمرات.

- مسجد الكبش بمنى، أزيل لذات السبب، وهذا المسجد هو مكان ما نوى فيه نبي الله ابراهيم ذبح ابنه اسماعيل.

- مسجد المرسلات، وهو المكان الذي نزلت فيه سورة المرسلات على النبي صلى الله عليه وسلم، أزيل ومبان أخرى بمنى بحجة توسعة مسجد الخيف وتوسعة الطرقات.

- مولد جعفر الصادق، ليس له وجود في الوقت الحاضر.

- دار العباس رضي الله عنه، وقد دخلت ضمن التوسعة عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

أما الأماكن الباقية من الآثار الاسلامية المباركة:

- مولد النبي، الذي تحول الى مكتبة بعد سيطرة الوهابيين على الحجاز. وحسب المؤلف بإن المبنى قديم متهالك، وقد كسي أسفله بالرخام الملون ضمن تبليط الساحة الشرقية للحرم الشريف، وحتى عام ١٤٣٠هـ لا يزال المبنى على وضعه القديم منذ انشاء المكتبة عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

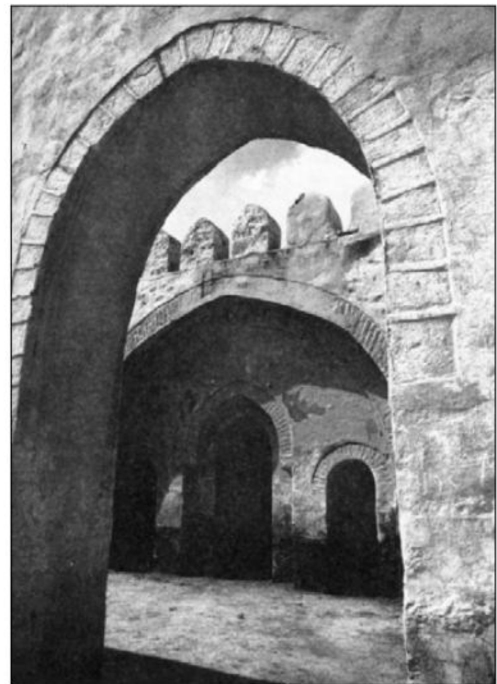
- مسجد الراية، وقد سمي بمسجد الملك فهد، في محاولة لقطع الصلة بتاريخه.

- مسجد الإجابة، وقد تم تدمير البناء القديم وأقيم بدلا منه بناء حديث عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- مسجد البيعة، الذي يشير الى بيعة العقبة، يقول المؤلف عنه: (لايزال موجوداً في بنائه القديم. قمتُ مع بعض الزملاء بزيارته يوم كان متواريا خلف جبل العقبة قبل نسفه، فوجدناه مهملاً، نزع بابه، لم يعط الإهتمام اللائق



مسجد الراية، صار مسجد الملك فهد!



أطلال مسجد البيعة المهمل

بتاريخه في الاسلام). ويضيف: (وفي الوقت الحاضر اصبح المسجد ببنائه القديم ظاهراً بارزاً للعيان بعدد إزالة جبل العقبة، حيث تمت إزالة الجبل الضخم عام ١٤٢٨هـ... وقد أحيط بأسلاك شائكة... عسى أن ينال الاهتمام اللائق به في الوقت الحاضر، واسترجاع ذاكرة التاريخ الإسلامي، وما كان يلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة الى دين الله، وأخذ البيعة من الأنصار رضوان الله عليهم على حمايته، ومؤازرته إذا حلّ ببلدهم).

- مسجد الخيف، لايزال قائماً.

- مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لازال باقياً.

- مسجد التنعيم (او مسجد أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها)، لايزال في مكانه يؤمه المعتمرون.

- مسجد الفتح.

- مسجد الجن (الحرس)

- مسجد الجعرانة

- غار حراء

- غار ثور الذي يحوي مكان اختفاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه.

ويخلص المؤلف الدكتور عبدالوهاب ابو سليمان الى القول: (مما يحز في النفس ألا تعطى هذه الأماكن الإهتمام اللائق بتاريخها الإسلامي، ولا يسهل الوصول اليها بالوسائل الحديثة، رحمة بالحجاج الذين يقصدونها شوقاً للوقوف على آثار النبي صلى الله عليه وسلم في بلده ومسقط راسه صلى الله عليه وسلم). إن مشاعر المسلمين القادمين للحج او العمرة تتلهف لزيارة الأماكن الأثرية، وإن إنكار هذه المشاعر أو التعاطي معها بالحدّية والعنف الوهابي إنكار لحقيقة الطبيعة البشرية والجبلة الانسانية ولحقائق الآثار ورأي الاسلام الصحيح منها.

بندر الغائب الحاضر

(اليمامة) تطير إلى أميركا

ناصر عنقاوي

يبدو أن لعنة (اليمامة) ستبقى تلاحق الضالعين فيها من أشخاص أو شركات أو حتى أشباح، بالرغم من مرور ربع قرن على توقيع صفقة اليمامة بين السعودية وبريطانيا. فما إن تغلق أبواب القضاء في دولة ما وإن بصورة مؤقتة، حتى يبدأ قضاة آخرون في دول أخرى بفتح الأبواب مجدداً، وكل بحسب ما اخترقه الضالعون في (اليمامة) من قوانين، أو استغله من صلاحيات وامتيازات لناحية إما التهرّب من الاستحقاقات المالية، أو تمرير مبالغ ملوّثة عبر حسابات بنكية متنقّلة.

في ديسمبر من العام ٢٠٠٦، نجحت ضغوطات سعودية في تعطيل مفعول القضاء البريطاني، بعد أن طلب رئيس الوزراء البريطاني حينذاك بإيقاف عمل مكتب التحقيق في الغش التجاري الخطير، قبل أن يعاود الأخير عمله بفعل ضغوطات منظمات المجتمع المدني في بريطانيا ومنظمات حقوقية وقانونية في أوروبا مسؤولة عن مراقبة سير عمل القضاء والتثبّت من الفصل بين السلطات، وتطبيق القوانين. حين عاد المكتب المشار إليه لمواصلة التحقيق في ملف الرشاوى الخاصة بصفقة (اليمامة)، تكشّف حجم الضغوطات التي تعرّض لها المجتمع القضائي في بريطانيا وكذلك كبار السياسيين بهدف تجميد التحقيق، أو الالتفاف على النتائج التي يمكن التوصّل إليه بحسب مسار التحقيقات، بل تكشّف بعض قصص محاولات التسوية المشوبة بالغش.

بندر بن سلطان، الذي يبدو غائباً هذه الأيام ولم يحضر استقبال والده بل قيل أنه اختفى من المشهد السياسي بصورة كاملة، يبدو الشخصية الأكثر بروزاً دائماً، حتى أنه ما إن تذكر رشى اليمامة حتى يرد إسم بندر بن سلطان إلى جانبها، فقد حصد نحو ملياري دولارٍ من (صفقة القرن)، وحسب أن الأمور تسير كما خطط لها، ولم يخطر في باله أن حساباً عسيراً ينتظره من وراء هذه العمولة الفلكية في تاريخ صفقات التسلح، وخصوصاً في بلدان يتمتع فيها القضاء بالإستقلال والصحافة بالشفافية والنقد.

كان الإعتقاد بأن في بريطانيا سيكون مدفن التحقيقات في (رشى) اليمامة، ولكن ذيولها في دول أخرى مثل الولايات المتحدة التي سنّت تشريعاً منذ بداية التسعينيات يحظر تقديم عمولات في صفقات تجارية وعسكرية مع أطراف خارجية، أملت فتح تحقيق في تداعيات الفساد في (اليمامة) على الولايات المتحدة. قبل تصرّم العام ٢٠٠٩ كانت محكمة الاستئناف قد أصدرت حكماً ضد صندوق معاشات العاملين في مدينة هاربر وودز في ميشيغان الذي قد يطلب من المحكمة العليا الأميركية السماح له بمقاضاة شركة (بي أيه إي سيستمز) في الولايات المتحدة على خلفية دعاوى بأنها دفعت أكثر من ملياري دولار رشى للفوز بصفقة أسلحة سعودية قياسية.

وقالت محكمة الاستئناف الاميركية بأن القانون البريطاني وليس الأميركي يملك الاختصاص في دعوى حاملي الأسهم بشأن رشى مزعومة للأمير السعودي بندر بن سلطان وآخرين. وتركت محكمة الاستئناف التي أيّدت ماتوصّلت إليه محكمة أقل درجة للصندوق امكانية رفع قضيته في بريطانيا. وقال محامي صندوق معاشات العاملين في المدينة سالفة الذكر كافلين أن الصندوق ليس لديه خطط لرفع هذه القضية في بريطانيا. وقال إنه ربما يطعن بدلاً من ذلك أمام المحكمة العليا ضد رفض القضية من جانب محكمة الاستئناف في مقاطعة كولومبيا.

ويتهم صندوق معاشات التقاعد مديرين وتنفيذيين حاليين وسابقين في شركة (بي أيه إي) وهي أكبر شركة لصناعات الأسلحة في بريطانيا بخرق مهامهم الإئتمانية وتضييع أصول مشتركة من خلال مزاعم عن السماح برشى ومدفوعات غير قانونية في صفقة أسلحة عرفت باسم (اليمامة) في الثمانينات.

وتنفي (بي ايه اي) ضلوعها في أي مدفوعات مخالفة لتأمين الحصول على الصفقة التي بيعت فيها مقاتلات (تورنادو) وطائرات تدريب (هاوكر) وغيرها من المعدات العسكرية الى السعودية مقابل نفط بدءا من عام ١٩٨٥. وقدّرت قيمة صفقة المقايضة تلك بين الحكومتين بما يصل الى ٨٠ مليار دولار وهي أكبر صفقة أسلحة من حيث قيمة التكلفة في بريطانيا.

وقالت ليندساي وولز وهي متحدثة بإسم شركة (بي أيه إي) في لندن أن الشركة ترحّب بحكم محكمة الإستئناف الأميركية. ونفى محامون عن الامير بندر أي مخالفات من جانبه. ودفع المدّعون بأنه يتعين أن يكون للولايات المتحدة سلطان قضائي بسبب ذهاب أكثر من مليار دولار من الرشى المزعومة الى الامير بندر عبر حساب في بنك ريجيز وهي مؤسسة مالية في واشنطن العاصمة لم تعد عاملة الآن. ودفع ممثلو الدفاع عن شركة (بي أيه إي) بأن جميعهم تقريباً يقطنون خارج الولايات المتحدة وليس في واشنطن العاصمة.

وكان مكتب التحقيق في الإحتيالات الخطيرة ببريطانيا قد أسقط في ديسمبر/كانون الاول ٢٠٠٦ تحقيقاً في صفقة اليمامة. وقال رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الوقت توني بلير أن التحقيق في هذه المسألة يهدد الأمن القومي والعلاقات مع السعودية التي وصفها بأن لها دوراً حيوياً في جهود مكافحة الإرهاب وجهود السلام في الشرق الاوسط. وفي يونيو/حزيران ٢٠٠٧ قالت (بي أيه إي) أن وزارة العدل الأميركية فتحت تحقيقها الخاص في مدى امتثال شركة (بي أيه إي) مع قوانين مكافحة الرشى ومن بينها تعاملات مع السعودية.


بندر انتهى سياسياً

ويأتي فتح ملف الرشى في الولايات المتحدة بعد شهور قلائل على استئناف مكتب التحقيق في الاحتيالات التجارية في بريطانيا عمله في التحقيق في القضية، فيما يواصل المدّعى عليهم بمن فيهم الأمير بندر بن سلطان حشد قواهم من أجل دفع الإتهامات الموجّهة إليهم بخصوص تلقي رشاوى عبر حسابات بنكية في أوروبا..فهل يخسر الأمير بندر في التجارة كما خسر في السياسة؟

أشراف الحجاز في الوثائق المصرية

(١٢٢٨ـ ١٢٥٦هـ) (١٨١٣ـ ١٨٤٠ م)

عبدالحميد البطريق

تعتبر الوثائق المصرية الخاصة بتاريخ الحجاز في الفترة المصرية العثمانية (١٢٢٨ ـ ١٢٥٦هـ) (١٨١٣ ـ ٨٤٠ م) من أهم المصادر التي تشرح تاريخ أشراف الحجاز في تلك الفترة بالذات، تلك الوثائق التي لم يستخدمها المؤرخون الذين تعرضوا لتاريخ الأشراف خلال هذه الفترة التي تعرّض أثنائها أمراء مكة من الأشراف لكثير من التغيير في أوضاعهم ومركزهم وامتيازا تهم التقليدية التي تمتعوبها من قبل.

وتنقسم تلك الوثائق إلى قسمين، القسم الأكبر منها مكتوب في الأصل باللغة التركية العثمانية التي تستخدم الحروف العربية، وهي الرسائل أوالمراسيم التي كان محمد علي يبعث بها إلى أمراء مكة أوإلى بعض الشخصيات الهامة من أشراف الحجاز، وكذلك الرسائل التي كان يبعث بها هؤلاء الأشراف إلى القاهرة أوإلى استنابول كما سيرد ذكره.

وقد عنيت الحكومة المصرية منذ عهد الملك فؤاد الأول بجمع الوثائق التركية والعربية الخاصة بتاريخ مصر الحديث، وعلى الأخص ما كان منها يوضح عصر محمد علي، وهوعصر يعتبر حقبة هامة في تاريخ العرب الحديث كما هومعروف، وقد كانت دار المحفوظات الملكية – وهوالاسم الذي كانت تعرف به قبل عام ١٩٥٢ – إدارة كبرى ملحقة بقصر عابدين، يرئسها مدير مختص يعمل تحت أشرافه عدد كبير من الإداريين، وعد لا بأس به من المترجمين الأكفاء الذين كان معظمهم من اصل تركي، ودرسوا اللغة العربية دراسة جيده في الأزهر، ويحضرني الآن بعض أسماء من تولوا ترجمة الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية ومراجعة الترجمة على الأصل وأهم أولئك الذين وقّعوا الترجمة أوراجعوها الشيخ محمد كمال الادهمي، والشيخ محمد إحسان، والشيخ محمد صادق، وكان على رأس المراجعين في ذلك العهد محمود نفعي أفندي، الذي كان يجيد اللغتين العربية والتركية إجادة كاملة، لذلك جائت الترجمة في ظل هذه الإدارة صحيحة صادقة، يوثق بها ويعتمد عليها.

والوثائق الخاصة بأشراف الحجاز محفوظة أما في سجلات (دفاتر) يطلق عليها دفاتر ألمعية، أوفي محافظ خاصة تعرف بمحافظ عابدين، وأغلب الوثائق التي توضح تاريخ الحجاز في تلك الحقبة هي المسجلة في دفاتر ألمعية، أما (محافظ عابدين) فأهميتها في أنها تبين تطور العلاقات بين الباب العالي، ووالي مصر محمد علي، بشأن تضاؤل النفوذ العثماني في الحجاز ومحاولة محمد علي أن يتخذ ما يراه من القرارات والإجراءات دون انتظار التعليمات أوالأوامر التي ترد من الاستانة.

وتحتوي تلك المحافظ على المكاتبات المتبادلة بين الصدر الأعظم ووالي مصر رأساً، أوعن طريق وكيل محمد علي المقيم بالأستانة (قبوكتخدا) والذي كان لسان محمد علي، وممثله لدى الباب العالي، يتلقى منه ما يريد إبلاغه للصدر الأعظم أوالسلطان، ثم يحمل إليه الرد ويبدي بعض الملاحظات باعتباره خبيراً بما قد يخفى على محمد علي من سياسة رجال الباب العالي الذين كانوا يميلون دائماً إلى اتخاذ الحيطة والحذر تجاه ما يجري في الحجاز – ارض الحرمين الشريفين – على يد الوالي الطموح الذي قد يعصف بنفوذ السلطان الذي يعتز بلقب خادم الحرمين، وهم يعلمون تماما مدى أطماع محمد علي التي لا حد لها.

وتحتوي محافظ عابدين أيضا على بعض الرسائل العربية التي كان يرسلها أشراف الحجاز إلى القاهرة في صورة تقارير عن أحوال الحجاز في ذلك العهد أوالتماسات تطلب التحقيق في أمور معينة، أوشكاوى خاصة بمنازعاتهم الداخلية، أومشكلات تخص علاقاتهم بحاكم الحجاز الذي عينه محمد علي محافظاً لمكة، أومطالباتهم بعائدات الأوقاف التي يتنازع عليها الأبناء عند وفاة والدهم.

أما دفاتر المعية فهي كثيرة، وبها وثائق عديدة تضيف كثيرا من المعلومات عن تاريخ الأشراف في الفترة التي نحن بصددها، وهي فترة امتدت ربع قرن تقريباً. وتحتوي على رسائل كان يبعث بها محمد علي إلى ابن أخته أحمد باشا يكن الذي عينه حاكما على الحجاز ومحافظاً لمكة في نفس الوقت، ومكاتبات أخرى من أحمد باشا يكن إلى القاهرة تختص بأحوال الأشراف واتصالاتهم بحكومة الحجاز وعلاقاتهم بالشريف أمير مكة ونشاطهم في خدمة الحكومة ونظامها الجديد، ومن الوثائق الهامة المحفوظة في دفاتر ألمعية الرسائل التي كان محمد علي يوجهها باللغة العربية إلى شريف مكة تارة، وإلى غيره من الأشراف تارة أخرى وتعليماته الخاصة بمرتباتهم ومخصصاتهم، والمراسيم الخاصة التي كان يصدرها بتعيين بعض الأشراف في مناصب حكومية في الحجاز.

وتعتبر الفترة المصرية العثمانية (١٢٢٨ ـ ١٢٥٦هـ) من حيث تاريخ الأشراف من الفترات التي لم يبحثها المؤرخون في وضوح وموضوعية، وحتى الرحالة الذين زاروا الجزيرة خلال هذه الفترة لم يهتموا اهتماما علمياً بوضع الأشراف وتطور علاقاتهم بحكومة الحجاز التي أقامها محمد علي بعد عزل أمير مكة الشريف غالب، وذلك بسبب عدم إطلاعهم على الوثائق المصرية.

أن من يدرس تاريخ الأشراف قبل هذه الفترة يتبين له مدى ما كان يتمتع به أمير مكة منهم من جاه وسلطان وثروة، ولذلك امتلأ تاريخهم في العهد العثماني بكثرة المنازعات والخلافات فيما بينهم على ذلك المنصب، وكانوا في سبيل الأمارة يستعينون بأمراء الحج الشامي أوالمصري لتزكيتهم.



محمد علي باشا

حتى إذا ظفر احدهم بالمنصب، كان أول ما يسعى إليه أن يخلق لنفسه شخصية مستقلة عن الباب العالي وعن والي جدة ممثل السلطان في الحجاز وجمع الأنصار من بقية الأشراف حوله، واضطهاد منافسيه منهم.

ولعل أهدا فترة في تاريخ مكة هي الفترة التي تولى فيها الأمارة الشريف (سرور بن مساعد) (١١٨٦ – ١٢٠١هـ/ ١٧٧٢ – ١٧٨٦م) أما الفترة التي امتلأت بالأحداث الجسام والتطورات ألمثيره في تاريخ أشراف الحجاز فتبدأ بعهد الشريف غالب الذي تولى الأمارة عام ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) ولعب دوراً خطيرا في عهد الفتح السعودي للحجاز، والحملة التي أرسلها محمد علي والي مصر، وتدل الوثائق المصرية

على أنه كان مخادعاً للجانبين. ففي الوقت الذي عفا عنه فاتح مكة الأمير سعود وثبته في منصبه، كان الشريف غالب يراسل محمد علي في القاهرة ويقول له أنه بعد فتح سعود رأى ألا يدخر مالاً ولا بدناً في مخادعته بكل الوسائل، فبينما كنت اظهر له الاتفاق والاتحاد كنت غير مقصر في أنباء حضرة الوزير المشار إليه في رابغ بحركات العدوإلى أن سئم معظم العربان الإقامة والتزمنا سبيل إخافتهم بصورة خفية سرية، وعين سعود ابنه عبد الله قائداً وأحال إليه أمر جميع العربان ووضع في مكة بمعيتنا نفراً من المحافظين الخبثاء، وغداة سفره أوفدت الشيخ أحمد تركي زاده إلى رابغ حيث السر عسكر لكي يتعجل القدوم إلينا.

ويتبين أيضا من الوثائق المتبادلة بين محمد علي والباب العالي وغيرها من الوثائق أن الأول قد رأى استغلال ما جبل عليه الشريف من المكر والخديعة وميله للانضمام إلى الجانب الأقوى فكتب إليه رسالة قال فيها: (لقد نشأت منذ نعومة أظفاري في احضأن الحروب، حاربت اشد الدول قوة وعتادا فقمت بواجبي ضد الإنجليز والفرنسيين في مصر خير قيام، وأفنيت طائفة المماليك المشهورين بالشجاعة والفروسية والذين استعصى أمرهم على الدولة العلية منذ ستين عاما... فلا تتمادى في جهلك ولا تصر على عنادك وثق أنني لووصلت عنوة لفلتت أمارة مكة من يدك، ولعينت فيها أميرا أخر من السلالة، وبذلك سوف تعرض نفسك بنفسك للمذلة والهوان).

ويظهر أن الشريف غالب قد استقر عزمه على الانضواء تحت لواء الحملة القادمة وأن يغدر بالسعوديين الذين عفوا عنه وثبتوه في منصبه، فهويدعي أمامهم أنه سوف يدافع عن (جدة) في الوقت الذي يرسل كاتب ديوانه سرا لاستقبال قائد الحملة المصرية في عرض البحر يحمل معه الماء وبعض المؤن، وطلب من القائد - كما جاء في إحدى الوثائق - (أن تتظاهر الحملة بالحرب بإطلاق المدافع وقذف القنابل، وسنقابلكم بمثل ذلك بالبر).

وعلى الرغم من كل ما كان يتظاهر به الشريف غالب من الإخلاص والولاء إلا أن محمد علي كان يضمر له السوء في مستقبل الأيام، تلك كانت نيته التي صارح بها الباب العالي، ولأنه كما قال عنه في إحدى رسائله (لن يكون مصدر خير ولا إصلاح وأنه ينوي عزله وتعيين شريف أخر أميرا على مكة. ولكنه كان يخفي شعور العداء نحوالشريف غالب لأنه يريد أن يتغلب على بعض الصعاب المحلية عن طريق استخدام نفوذ الشريف على سكان الحجاز.

ولما جاء محمد علي بنفسه إلى الحجاز عام ١٢٢٨ﻫ (١٨١٣م) كان مصمما على عزله وبدا الخلاف يتفاقم بسبب حرمان الشريف من عائدات جمرك جدة التي اعتاد الشريف غالب الاستيلاء عليها. وقد شكا الشريف في البداية من وقوع خلاف بينه وبين محافظ جدة، وطيب محمد علي خاطره ولكنه لم يجبه إلى طلبه، ولما كان الشريف لا يزال معتادا على الكتابة إلى السلطان رأسا، فقد تخطى حكومة الحجاز الجديدة وأرسل يشكوإلى الباب العالي أن العهد الجديد حرمه من نصيبه المقرر له من جمرك جدة، وأرسل الصدر الأعظم إلى محمد علي يستفسر عن شكوى أمير مكة.

ويتبين من الوثائق المتبادلة في هذا الشأن أن محمد علي كان مصرا على تقليص نفوذ الشريف غالب وحرمانه من إيراداته الكبيرة إلى أن تسنح الفرصة لعزله نهائيا، وقد صرح بذلك في الرد على الصدر الأعظم، وأضاف قائلا في رسالته (أن الشرف غالب اشد الناس مكرا وأخطرهم خيانة وأكثرهم غراما بتدبير المؤامرات وأنه عازم على القبض عليه ونفيه).

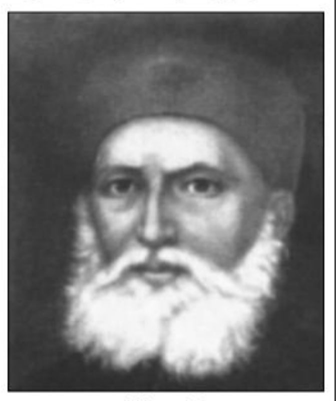
وقد زادت هذه الشكوى التي أرسلها الشريف إلى القسطنطينية من حقد والي مصر عليه وكراهيته له فقد تخطاه واتجه إلى السلطان وأدرك أنه سيكون عقبة في سبيل تحقيق أطماعه في حكم البلاد. وترينا الوثائق العديدة الخطوات التي اتبعها للتخلص نهائيا من الشريف غالب وتدبير مكيدة له انتهت بالتحفظ عليه عقب حفلة استقبال في قصر طوسون بن محمد علي، واعتذر له طوسون بأن ما يفعله معه أنما هوبأمر شاهاني من السلطان وأن ليس هناك ما يخشاه على حياته لأن أباه سيتوسط له لدى السلطان، ولما وجد الشريف إلا سبيل إلى المقاومة أمر حراسه بالانصراف واستسلم لقدره، واستكتبوه رسالة إلى أبنائه يحضهم على السكون والسلم والإقرار للباشا بالطاعة وفي ١ ذي الحجة ١٢٢٨ غادر الحجاز إلى القاهرة ثم استقر به المقام أخيرا في سالونيك حيث وافته منيته في صيف عام ١٢٣١ﻫـ (١٨١٦م).

الشريف يحيى بن سرور:

وبعد التخلص من الشريف غالب تتحدث الوثائق عن التغيرات الجذرية التي طرأت على مركز الشريف أمير مكة، وعلى أوضاع بقية الأشراف، فقد كان والي مصر يقدر مركزهم بين أهل الحجاز نظرا لمكانتهم التي استمدوها من اتصال نسبهم بالرسول صلى الله عليه وسلم، فرأى أن يحتفظ بهم أمراء على مكة، وموظفين في الدولة كعنصر هام من عناصر الحكم الجديد، إلا أنه كان حريصا على ألا تعود إليهم سلطتهم التي اكتسبوها من قبل في العهود العثمانية السابقة.

وقع اختيار (محمد علي) على (الشريف يحيى بن سرور) ابن أخ الشريف غالب ليكون خلفا لعمه في أمارة مكة، ويتضح من إحدى وثائق عابدين أن يحيى بن سرور كان معروفا لمحمد علي منذ بدء قيام الحملة، فقد كان يكاتبه ويتقرب إليه بجمع الأخبار والمعلومات التي تفيد الحملة. لهذا فضله على أخيه الأكبر الشريف عبدالله بن سرور، وقد أثار هذا التعيين حفيظة أخيه، وقام النزاع بين الأخوين، وكان الأمير الجديد يحيى بن سرور يبلغ أنباء هذا الخلاف إلى القاهرة فتاتي ردود محمد علي إلى الشريف يحيى على شكل نصائح تلفت نظره إلى إتباع سياسة التسامح مع أخيه، وفي الوقت نفسه عين للشريف عبدالله مرتبا شهريا يصرف له باستمرار من خزينة مكة.

وهنا نقف وقفة قصيرة لنلاحظ من خلال الوثائق المتبادلة بين القاهرة والقسطنطينية أن محمد علي كان يتصرف على هواه فيما يخص تعيين الأشراف في منصب الأمارة أوالمناصب الأخرى، فهويختار من يشاء ثم يبلغ الاسم الذي استقر عليه راية إلى الباب العالي ليصدر المرسوم (الشاهاني) بالتعيين، وإذا اقترحت حكومة السلطان اسما أخر لا يروق لمحمد علي فأنه يبعث إلى وكيله المقيم بالقسطنطينية والمفوض من قبله للتحدث باسمه أن يشرح للصدر الأعظم وجهة نظره، وتكون النتيجة دائما تحقيق إرادته، مثال ذلك صدور أمر السلطان بتعيين الشرف عبدالله بن سرور الأنف الذكر أميرا على مكة في الوقت الذي كان تعيين الشريف يحيى بن سرور قد تم فعلا باختيار محمد علي - وعند ذلك كلف وكيله بإبلاغ الباب العالي رسالة جاء فيها: (... وبينما كانت غاية مرادي وقصارى أملي إحالة أمارة مكة المشرفة للشريف عبدالله بن سرور كما جاء في الأمر العالي إذ علم لدي جزما ما ابتلي به المومى إليه من الأطوار الرديئة بحسب طبعه ففوض مسند الأمارة الجليلة لعهدة صاحب السيادة الشريف



ابراهيم باشا

يحيى أخي الشريف عبدالله بناء على كونه من أهل الصلاح والتقوى والصفوة... الخ).

وجاء في تلك الوثيقة أنه استدعى الشريف عبد الله للإقامة في مصر، ولكنه غادرها فجأة واخذ يتصل برجال السلطان في القسطنطينية لينصروه على أخيه، ويطلب محمد علي من وكيله أن يحث الباب العالي على (عدم الإصغاء لما يتقوله وعدم الاعتبار بما يتفوه به). وقد توالت المراسلات بين الشريف يحيى والقاهرة، بشأن المؤامرات التي يقول أن أخاه يدبرها ضده وضد حكومة الحجاز - والوثائق الخاصة بهذا الموضوع كتبت كلها باللغة العربية، وقد أتضح في إحداها أن الشريف يحيى بن سرور استجاب لنصائح محمد علي بعدم التمادي في النزاع مع أخيه ومحاولة مداراته منعا لإثارة الفتنة بين الأشراف في مكة، ونلاحظ في ردود الشريف يحيى أنه يخاطب محمد علي بكلمات التعظيم والتفخيم، وهويبدأ رسالته هكذا (حضرة

صاحب الدولة والعناية والعاطفة الرؤوف بالفقراء عليّ الهمم وجزيل الكرم والدي ذوالشأن والمقام العالي)ثم يستطرد في رسالته قائلا (إنشاء الله سوف لا اقصر في ستر حركات أخي وأطواره القابلة للستر والإخفاء والممكن هضمها بستار المسامحة بمقتضى أمر دولتكم ونصيحتكم قائلا ما مضى مضى وإذا تسبب في الخارج إلى تقول الناس سأقبض عليه حسب الضرورة بمقتضى أمر دولتكم وسأرسله معتقلا مسجوناً إلى فخامتكم لدرء ضرره وأنه رغم التنبيهات التي أعطيت إليه من قبل دولتكم لم يأت لمقابلتي إلى الآن).

وقد اخترت هذه السطور من الوثيقة العربية كنموذج للتغير الذي طرا على مركز الشريف في نظام الحكم الجديد، ومدى التنافس الدامي بين أشراف الحجاز على منصب أمارة مكة حتى بين الأخ وأخيه. كذلك أصبح أمير مكة مقيدا بالأوامر التي ترد إليه من القاهرة، ولم يعد باستطاعته الإثراء عن طريق استغلال منصبه، ولن يستطيع ممارسة التجارة واحتكار السلع والاستيلاء على معظم عائدات جمرك جده كما كان يفعل أسلافه بل أصبح كموظف كبير يحصل على راتب شهري ومخصصات سنوية قدرها محمد علي ووافق عليها السلطان، يصرف بعضها من جمرك جده، ويرسل الباقي من خزينة مصر.

على أن النظام الجديد قد احتفظ لشريف مكة بمركزه السامي بين الأشراف ليكون وسيلة لفض أي خلافات أونزاع يقوم بينهم ويعفي أحمد باشا يكن حاكم الحجاز من إقحام الحكومة في خلافات داخلية بين الأشراف قد تشغله عن مهمته وتجر المتاعب بغير جدوى ويتمثل ذلك في رسالة بعث بها محمد علي إلى الشريف يحيى يمتدح فيها وساطته بين أشراف العبادلة عندما نشبة فتنة فيما بينهم وقتل فيها عدد من الأشراف فتدخل الشريف يحيى (وأصلح ذات بينهم بحسب قانونهم) فيقول له (علمت هذا فسررت مما ظهر على هذه الصورة بين الأشراف من غيرتكم الذاتية وحميتكم الفطرية فيما أن ذاتكم الهاشمية الحميدة الصفات هي الملجأ الذي يرجع إليه أفراد الأشراف فالأموال أن تتفضلوا فيما بعد صرف الهمة في تهيئة ما يوجب التأليف بينهم من الوسائل المرضية وفي استكمال أمر رفاهة حالهم وهدوء بالهم).

ومع ذلك فقد حرص محمد علي في الوقت نفسه على أن ينزع عن أمير مكة ما كان له أيام الحكم العثماني من سيطرة تامة وتدخل في شؤون الحكم، آذ أصبح الحكم فيد الحاكم الجديد (أحمد باشا يكن) الذي كان ال يجمع بين وظيفته كمحافظ مكة وإدارة البلاد الحجازية كلها. وتوضح الوثائق المتبادلة بين مكة والقاهرة أن امير مكة فقد في نظر الأشراف من مختلف الأسرات ما كان للأمير من سلطان فعلي، ولم تعد كلمته هي العليا كما كانت أيام الشريف غالب ولم يكن الشريف يحيى بن سرور راضيا عما ال إليه مركز الأمارة واستهانة بقية الأشراف به فتوالت رسائل الشكوى التي كان يرسلها إلى القاهرة طالبا التدخل في عصيان الأشراف له واستهتارهم به، ونجد أمثلة كثيرة من هذه الشكاوى معظمها مسجل في دفتر رقم ١٠ معية تركي – وخشي محمد علي من قيام فتنة أوحروب داخلية بين الأشراف تؤثر على الأمن العام وتشغل بال حكومة الحجاز لذلك أمر محافظ مكة أن يستدعي الأشراف المعروفين ويلفت نظرهم إلى تلافي قيام خلاف بينهم وبين امير مكة. ونستطيع من خلال وثيقتين من وثائق عابدين أن نستشف السياسة التي يتبعها النظام الجديد تجاه الأشراف.

ففي وثيقة بتاريخ ٢٥ صفرسنة ١٢٣٨هـ (نوفمبر١٨٢٢) يرسل محمد علي إلى محافظ مكة رسالة نقتطف منها (جاء في الاثني عشر كتابا المرسلة إلينا من حضرة صاحب السيادة الشريف يحيى أمير مكة مع تابعه الحاج حسين اغا أنه بينما الأحوال والنظام المتبع بين أشراف الحجاز يقضي عليهم أن يطيعوه ويراعوا الواجب نحوه فأن بعضهم قد عمد إلى مخالفة ذلك مما أوجب كدره وقد كتب له الرد بما استلزمه الأمر وعنينا باطمئنان قلبه ألا أنه يجب أن تستقدموا إليكم الشرف عبدالله والشريف راجح عواجي، وجميع من حذا حذوهم وأن تلفتونظرهم إلى مقام أمارة الشريف المشار إليه وأن تعرفوهم أن عليهم أن يعتبروه كبير الأشراف وأن يرجعوا إليه في الأمور التي تقع بين الأشراف حسب أمورهم المقررة وأن يراعوا بذلك أواصر المودة... واجتهدوا في الا يسمحوا لأنفسهم أن يأتوا بحركة منافية لمصالحنا...هذا ولما كان بعض الشرفاء الذين يعملون مع الحكومة في بعض الجهات معذورين في اتخاذ الإجراءات التي تستوجبها مهامهم فقد كتب إلى الشريف يحيى بشأن عدم التعرض لهم فراعوا هذه الناحية أيضا وتقيدوا بها في حديثكم مع الشريف).

وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي قام بها أحمد باشا في سبيل التوفيق بين الأمير وبقية الأشراف إلا أن كراهيتهم للشريف يحيى وعجزه عن كسب احترامهم جعل الخطب يتفاقم، فقد كان يتدخل في شؤنهم الخاصة وفي وظائفهم المكلفين بها من قبل الحكومة، وكانت الحكومة قد عينت بعضهم أمراء على بعض البلدان أوالمناطق، والبعض الآخر جباة للضرائب، والبعض الآخر كانوا أدلاء في الجيش، وغير ذلك من الوظائف العامة التي لا صلة لها بأمير مكة ولا يريد النظام الجديد أن يكون لديها صلة، وفي الوقت الذي كان محمد علي يحث الأشراف على احترام اميرهم كان يحذر المحافظ من أن يسمح للأمير يحيى أن يتدخل في شؤون وظائفهم.

وتوضح لنا الوثائق المصرية أن محمد علي لم يكن في قرارة نفسه راضيا كل الرضاء عن الشريف يحيى بن سرور ويتبين هذا في رسالة بعث بها إلى أحمد باشا محافظ مكة يقول فيها: يا بني الأعز. أننا نعلم أن الشريف يحيى هذا رجل مجنون، ولكن لأن أخيه الشريف عبدالله لا يمكن الاعتماد عليه، لذا فأننا مرغمون على أن نتمسك بالشريف يحيى للضرورة وعليه لئن كان مجنونا ألا أنه من المستصوب ما دام أميرا لمكة – أن يرجع إليه الأشراف في الأمور التي تقع بينهم وأن يقبلوا يده على نحو ما جرت العادة بينهم في المناسبات بين الفينة والفينة... هذا ولا تدعوا المشار إليه أو سواه يتدخل في أمورنا ومصالحنا).

وهناك حاشية طريفة ألحقت بنفس الرسالة قال فيها (ما دام الشريف المشار إليه على هذه الحالة فإننا نحيل إلى درايتكم أمر مراقبته. وهذا لا يتم إلا بالربت على كتفه بين حين وآخر والضحك في وجهه. ومن الملائم أيضا استعمال نفس الطريق مع الأشراف الذين يحبوننا).

ومما هو جدير بالذكر أن جميع الوثائق الخاصة بالأشراف تدل على أن محمد علي لم يكن يثق في أي واحد منهم فكان يوصي أحمد باشا يكن بمراقبة أولئك الأشراف الذين عينوا أمراء على بعض الجهات ويتضح ذلك من قوله في احد الأوامر الصادرة إليه بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٢٣٧هـ (١٨٢٢م):

(يا بني العزيز، إن طوائف العربان لا تخضع لغير الحاكم القوي وليس للمرونة أي تأثير عليهم. ليس لنا ما نقوله على الأشراف الكرام ولكنهم عاجزون في الأخذ، عاجزون في العطاء ولا يمكنهم والحالة هذه أن يقوموا بأعباء الحكم حسب مقتضيات الوقت).

أما الشريف يحيى بن سرور فقد أصبح مصدر إزعاج لحكومة الحجاز إلى أن حدثت حادثة كانت السبب في عزله من الإمارة وإنهاء عهده، فقد قام خلاف بين ابن أخيه الشريف سرور بن عبدالله وشريف آخر من سدنة الكعبة اسمه الشريف شنبر بسبب ملكية قطعة ارض في قرية (طرفة) بوادي فاطمة وحلول الشريف شنبر وأتباعه الاعتداء على الشريف سرور، فلجأ الأخير إلى عمه امير مكة الذي دعاه سوء تصرفه إلى استدعاء الشريف شنبر (وكان ذلك في ٢٧ شعبان ١٢٤٢هـ) وانطلق العبيد الموفدون لإحضاره يبحثون عنه إلى أن عثروا عليه في الحرم الشريف، ولكن الشريف شنبر أبى الذهاب معهم، ولما أنبئوا الشريف يحيى بامتناعه عن الحضور أمرهم بقطع رأسه إذا أصر على عدم الامتثال، وفعلا أبى الشريف شنبر الذهاب معهم فقتله العبيد طعنا بالخناجر في داخل الحرم. وصنعت تلك الحادثة – كما تدل الوثائق – نهاية لعهد الشريف يحيى بن سرور كأمير مكة.

إذ أن أحمد باشا محافظ مكة كان يضيق بتصرفات الشريف يحيى ولا يجد ذريعة لإبعاده عن منصبه فلما وصل إليه نبا قتل الشريف شنبر على هذه الصورة الوحشية في داخل الحرم الشريف، أرسل فرقة من الجند تحصر قصره ووجهوا نحوه المدافع من القلعة، وأرسل إليه الشيخ محمد الشيبي أمين مفتاح الكعبة ينصحه بتسليم نفسه تمهيدا لإرساله إلى مصر.

وأمام التهديد باستعمال القوة قبل الأمير أن يسلم نفسه على شرط أن يمهله أحمد باشا ثلاثة أيام وخشي أحمد باشا أن تؤدي هذه المهلة إلى إعطائه الوقت لإثارة الفتنة، ولذلك أمهله إلى الساعة الرابعة من مساء الغد، ولكن تبين أن الشرف يحيى يطلب المهلة لأنه صمم على المقاومة والتجأ إلى قبيلة حرب التي كانت دائما على استعداد لمقاومة الحكومة.

الشيخ العريفي يجدّد (طائفية) الدولة

التشهير سبيل للشهرة

محمد السباعي

لم يكن الدكتور الشيخ محمد العريفي من بين جيل الصحوة في التسعينيات، فلا يزال شاباً في مقاييس السن والدعوة معاً، لكنه افتتن سريعاً بالبزوغ الإعلامي، فأصبح وله حضور كثيف في أكثر من قناة إعلامية، وتبوأ منصب محاضر جامعي في درس ديني ولمّا يستكمل شروط الأستاذية..فقد تسنّم عدداً من المناصب منها: عضو مجلس الأمناء بالهيئة العليا للإعلام الاسلامي التابعة لرابطة العالم الاسلامي، وعضو في عدد من المكاتب الدعوية والهيئات الاسلامية ومستشار فيها، ومحاضر غير متفرّغ لعدد من الجامعات الدينية في الداخل والخارج، إضافة الى كونه عضو هيئة تدريس بجامعة الملك سعود، وخطيب جامع البواردي بالرياض.

في الحقل الدعوي، لم يعكس خطاب العريفي عمقاً فكرياً وسعة علمية لافتة، فقد غلب على أحاديثه الدينية الطابع الشعبي بصبغة نرجسية رثّة، رغم محاولاته المتوالية للسير على خطى (الخطباء) العصريين مثل عمرو خالد في كسر الروتين الخطابي والشكلي. إلا أنه بدا كمن يحاول تهجين الأصالة بالعصرنة في بعدها الشكلي، فضيّع سمات كليهما، كما تعكس ذلك قصة ذائعة الصيت في الوسط السلفي الوهابي حول حوار العريفي مع الجن، والذي تناقله عدد من مواقع الإنترنت التي يشرف عليها الوهابيون. ونقرأ في موقع (الشفاء) على شبكة الانترنت بأن الشيخ محمد العريفي ذكر (قصة واقعية!) في أحد المجالس الخاصة وكانت في حياة الشيخين ابن باز وابن عثيمين.

يقول الشيخ: أتاني أحد الشباب وقال: يا شيخ أخي به مسٌ من الجان وأريدك أن تقرأ علية. قلت: له أنا لا أقرأ على من به مس ولكن إذهب إلى أحد المشايخ المتخصصين في ذلك. لكن الرجل رفض الإنصراف وأصر علي إصراراً عجيباً. فرضخت لطلبه بعد طول جدال. ثم ما لبث حتى أتاني بأخيه الذي تبدوا علي وجهه ظلمة وهو مطأطئ رأسه للأرض وجميع علامات الإكتئاب ظاهرة على وجهه ونحول جسمه. قلت: أجلسه قريب مني وسألت أخاه.. من متى وهو على هذا الحال؟ قال: والله يا شيخ من مدة ليست بالقصيرة. ثم وضعت يدي على صدره وأخذت أقرأ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم)... فقرأت الفاتحة.. المعوذات.. آيات العين.. آيات السحر. لم يتأثر بأي شيء..ثم أعدتها وكرّرت الآيات.. في المرة الثالثة.. بدأ يرتجف و يرتجف.. حتى سقط من على الكرسي. ثم أخذ يصرخ.. ويصرخ. وأخذ يتكلم بكلام غير مفهوم. (ونطق الجني الذي فيه) قلت: ماذا تقول. لم يتكلم..لم يتكلم.. وهو يصرخ. فأخذت أعيد علية القراءة.. وأكرر آيات السحر. قال الجني على لسان الشاب: توقف يا شيخ ستقتلني.. ستقتلني. قلت: ما كنت تقول قال: يا شيخ أقول مسحور والله مسحور. قلت: تخرج منه الآن .قال: ما أقدر سيقتلونني. قلت: ومن يفعل ذلك. قال: الساحر والجن. قلت: إذهب إلى مكة..لا يدخلها المردة. قال: ما أستطيع أخرج. فأخذت أعيد القراءة بصوت أعلى من قبل. فإذا به يتلوى على الأرض.. ويتلوى. وأخذ يصرخ ويصرخ..سأخرج يا شيخ.. سأخرج يا شيخ. قلت: لكن قبل أن تخرج سأسألك سؤالاً..هل تعرف الشيخ ابن باز؟ قال الجني: نعم أعرفه قلت: هل تستطيع الدخول في الشيخ. قال: لا. قلت: لماذا؟. قال: لأن الشيخ يحافظ على أذكار الصباح والمساء. قلت: هل تعرف الشيخ إبن عثيمين، وسألته نفس الأسئلة. قال: لا أستطيع لأنه يحافظ على أذكار الصباح والمساء. ثم تركت الجني يخرج وعاد الشاب إلى طبيعته وهو لا يدري عن شيء مما حصل.

> **لا تمثّل خطبة العريفي ضد الآخر وتكفيره وتفسيقه خروجاً عن الخط العام الذي تسلكه الدولة السعودية هذه الأيام، وهي تخوض حرباً في اليمن ضد الحوثيين**

في رواية أخرى، بحسب مقابلة مباشرة مع التلفزيون السعودي الرسمي (وهي مثبّتة على اليوتيوب)، يقول العريفي بأن أحد القراء ذكر مرة بأنه قرأ على شخص مصروع، وقال بأن القارىء طلب من أن يخرج منه ويدخل في الشيخ ابن باز فقال لا أستطيع، فقال اخرج وادخل في الشيخ ابن جبرين قال لا أستطيع. فلم ينسب القصة الى نفسه، ولكنه نسبها الى أحد القراء مع أن ثمة تطابقاً بين القصتين باستثناء أن القصة الأولى فيها ابن عثيمين والثانية فيها ابن جبرين.

وبصرف النظر عن تفاصيل القصة وتناقضاتها رغم توحّد مصدرها، فإنها تعكس نزعة فنتازوية لدى الشيخ العريفي، ولم تكن تلك الحادثة الوحيدة، فقد أجرى حواراً مباشراً مع جني آخر على قناة (قطر) الحكومية، وكاد الجني أن ينهزم في الحوار، بحسب زعم العريفي، لولا أنه قطع عليه خط الإتصال. قصص عديدة تكررت، تختلط فيها الفنتازيا بالكذب المباح سلفياً، جعلت من الشيخ العريفي مركز اهتمام لدى قطاع واسع من الجمهور السلفي من الشباب ذكوراً وإناثاً. وبدا كما لو أنه بات

جزءٌ من المشهد اليومي للسلفية الرسمية في السعودية التي تنعكس إعلامياً شأن مشايخ آخرين كانوا في المقلب الصحوي مثل الشيخ سلمان العودة، والشيخ عايض القرني وآخرين.

لم يعرف عن الشيخ العريفي نشاط سياسي من أي نوع، فهو جاء في مرحلة نجحت فيها الحكومة في استيعاب جيل الصحوة إما بتحويل بعض أفراده (العودة، القرني، العبيكان، وصولاً الى العريفي..) الى ناطقين بإسم الاعتدال الديني الرسمي، أو بتوظيف المتشدّدين منهم (ناصر العمر، عبد الرحمن البراك..) في معارك مع خصومها في الداخل، سواء كانوا طوائف أو قوى سياسية أخرى، ولذلك فالعريفي القادم مؤخراً، نجح في اقتناص فرصة البروز الاعلامي السريع عبر إتقان بعض الممارسات الدعوية في شكلها المعصرن، ولفت الإنتباه باستعماله أداة الإثارة كشرط لا محيص عنه لتحقيق الشهرة.

الشيخ العريفي إمام جامع البواردي بالرياض، ألقى خطبة نارية، تكتنز كمية هائلة من الإثارة، وخصّصها للنيل من الشيعة مذهباً الذي قال عنه بأن (أساسه المجوسية)، ومن الشيخ علي السيستاني مرجعاً والذي وصفه بـ (الفاجر والزنديق)، وأنهى خطبته بالنيل المفتوح من السيد بدر الدين الحوثي، أحد زعماء الشيعة الزيدية في اليمن، بل أكبر زعيم زيدي في اليمن، ووالد زعيم الجماعة الحوثية عبد الملك الحوثي. بدت نبرة العريفي في الخطبة منفلتة، وكأنها جزء من عقيدة قتالية أو نشاط تعبوي وسط الجنود على الجبهة الجنوبية، ولذلك لم يرع في خطبته حدود اللياقة الأدبية، ولا الأمانة العلمية، ولا قداسة المسجد والفرض الذي يلقي فيه الخطبة. فقد قال عن السيد بدر الدين الحوثي بأنه (إدّعى خلال التظاهرات الامامة ثم المهدية وقيل أنه ادعى النبوّة أيضاً). ولم يكن لدى العريفي بطبيعة الحال ما يثبته غير الصورة النمطية التي ورثها من علمائه، وزاد على ذلك (هؤلاء السفهاء قال لهم بدر الدين الحوثي أنه قال لهم بأنه إمام قالوا صدقت، ثم قال بل أنا المهدي قالوا صدقت، بل قال لهم أنا نبي قالوا صدقت).

ثم وجّه كلاماً بذيئاً ضد الشيخ السيستاني، على خلفية فرضية وهمية تقوم على طلب الحوثيين الوساطة من السيستاني لحل النزاع في اليمن، وهو ما لم يطلبه الحوثيون في الأصل، ولم يعرف عن السيستاني التدخّل في شؤون خارجية، بل ينقل عنه أن الحاكم الأميركي السابق في العراق بول بريمر طلب لقاء السيستاني في النجف فجاءه الجواب: أنت أميركي وأنا إيراني فلندع العراق للعراقيين. ولكن العريفي، شأن كثيرين من مشايخ الوهابية، يملك مصادر خاصة لا يتسنى لأي مخلوق في الكون الوصول إليها، يرى بأن المراسلات التي كانت تجري بين الحوثيين والحكومة اليمنية اشتملت على مطالبة من الحوثيين بأن يكون السيستاني هو الذي يحل المشكلة. ثم يعلّق العريفي (ما بحثوا عن من يجمع المسلمون على اعتبارهم مشايخ ودعاة وأهل علم) في إشارة الى هيئة كبار علماء نجد، ولكن الحوثيين اختاروا، بحسب العريفي، (شيخ كبير زنديق فاجر في طرف من أطراف العراق)، في إشارة الى السيستاني. فقد تحوّل كبر السن في خطبة العريفي الشاب الوسيم ما يعيب به على السيستاني، حين وصفه بأنه (شيخ كبير)، وكان يفترض من مثله أن يعلّم أهل دعوته على توقير الشيخ الكبير وليس توصيمه! على أية حال، فإن ما قاله بعد ذلك يكفي المؤونة حين وصف السيستاني بـ (الزنديق الفاجر).

واصل العريفي خطبته النارية، وشكك في ولاء الشيعة في السعودية وإخلاصهم لوطنهم، وربطهم من طرف خفي بإيران، وقال (لولا يقظة الأجهزة الأمنية لرأى الناس من أفعالهم عجباً). ثم ختم العريفي الخطبة قائلاً (اقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم).

ونسجاً على الطريقة الفنتازوية بنكهة بوليسية نافرة، يفترض العريفي أن أصل قصة المراسلات واقعة، وكذلك المطلب الحوثي بوساطة السيستاني، دع عنك قبول أو رفض الأخير للوساطة. أما الكلام عن ادعاء بدر الدين الحوثي الامامة والمهدوية والنبوة فذاك لا يصمد أمام التحقيق، إذ لا دليل عليه ومن يطلب الحقيقة لا يفعل مثل ما فعل العريفي، العائد من جبهة الجنوب، في رحلة إثارة لافتة يمثل فيها التقاط الصور أبرز معالمها. يضاف إليها ذلك التصوير الاستعراضي لدوره في الجبهة ومشاهداته، كما يقول:

(وإنك لتسمع صوت التكبير تتناقل صداه الجبال، ودوي المدافع تدك مواقع الأعداء دكا، ومع ذلك، تلاحظ سكون قلوب الإخوة المرابطين وراحة نفوسهم، وقد ذهبت هنالك لأشارك في الجهاد بالكلمة، وأحرض المؤمنين على القتال).

على أية حال، فجّرت خطبة العريفي أزمة في الأوساط المحلية والإقليمية خصوصاً في العراق حيث يقيم الشيخ السيستاني، وأفضت إلى احتقان طائفي تفاقم تدريجاً في ظل عناد غير مبرر من الحكومة السعودية على تبرئة العريفي من خطبته (العقماء). رغم أن كثيراً من المراقبين وضعوا الخطبة في حقل (الإعلام الحربي) لدى الحكومة السعودية التي تشعر بأن مستوى التفاعل مع حربها ضد الحوثيين لم يكن بمستوى الإهمال المتوقع، فأوعزت إلى بعض رموزها الدينيين بمن فيهم المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ الى تصعيد الخطاب الطائفي لتحريض القاعدة الشعبية في نجد.


العريفي في الجبهة: استعراض بطولة!

في العراق، فجّر كلام العريفي عن الشيخ السيستاني غضباً شعبياً ورسمياً وانطلقت مظاهرات شعبية في عدد من المدن العراقية تندّد بالعريفي وتدافع عن موقعية السيستاني، فيما قال ممثل السيستاني في مدينة كربلاء بأن السعودية تتحمل (مسؤولية الإساءة) التي وجهها العريفي. وقال الكربلائي بأن كلام الأخير (ناب ولا يليق بخطيب جمعة في عاصمة دولة إسلامية كبيرة). أما الشيخ خالد الملا، رئيس جماعة علماء العراق في الجنوب وهي هيئة سنيّة، ندّد فيه بما قاله العريفي وقال بأن مواقفه (تأتي في وقت يسعى فيه الجميع داخل العراق وخارجه، إلى لملمة الوضع الإسلامي).

ليست المرة الأولى التي يفجّر فيها العريفي، شأن كثير من المشايخ الذين أدمنوا الشهرة عبر قنبلة إعلامية دينية أو سياسية أو اجتماعية أو فقهية أو حتى أمنية، ففي برنامجه التلفزيوني

(ضع بصمتك) الذي تبثه قناة (إقرأ)، وفي حلقة بعنوان (التوحيد) في إبريل من العام الماضي، والذي خصّصه للنيل قدحاً وتطاولاً وتعريضاً بالصوفية في حضرموت، ما أحدث استياءً عاماً وسط علماء الصوفية في حضرموت الذين عبّروا عن اعتراضهم على إساءات العريفي للقناة، ما اضطرها لتقديم اعتذار رسمي على شاشتها الى علماء حضرموت.

رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي حمّل السعودية مسؤولية لجم مشايخها التكفيريين وقال بأنها تتحمل قسطاً من مسؤولية مؤسستها الدينية العدائية الحاقدة، وقال المالكي بعد زيارته للسيستاني في النجف (اعتدنا الكثير من المؤسسة الدينية السعودية ومن رجالها الذين يسمون أنفسهم بالعلماء، فهي ترتكب تجاوزات بشكل دائم كونها تحمل فكرا تكفيرياً حاقداً عدائياً). وطالب المالكي الحكومة السعودية بأن تضبط المؤسسة الدينية، وقال (يجب عليها أن ترد على الذين يكفرون ويثيرون الفتن، وهي ليست المرة الاولى التي يتعرض فيها هؤلاء للرموز الدينية والمرجعية).

في رد فعل غير متوقّع، انبرت صحيفة (الوطن) ذات النزعة الليبرالية لتخصص افتتاحيتها في ٧ يناير للرد على انتقادات المالكي لتصريحات العريفي، وكتبت تحت عنوان (المالكي ومسؤولية رجل الدولة في الأزمات التاريخية)، وبدلاً من أن تسجّل موقفاً إزاء الخطبة الطائفية التي أطلقها العريفي، وجّهت نقداً بلغة تهكّمية على المالكي وقالت عنه بأنه ترك (الاحتياجات الحيوية لشعبه ومسؤوليات حكومته) وأنه (ينغمس في التلاسن الطائفي). الغريب أن (الوطن) التي طالما وجّهت انتقادات لرجال المؤسسة الدينية وضلوعهم في قضايا طائفية وإرهابية، تأتي الكلمة وتبرأ المؤسسة الدينية من الانزلاق (إلى المنزلقات الطائفية). نشير إلى رئيس تحرير الصحيفة جمال الخاشقجي كان قد أثنى على الشيخ السيستاني في أكثر من مقالة، لدوره في وأد الفتنة الطائفية في العراق، ورشّح السيستاني لجائزة خدمة الاسلام وليس نوبل للسلام فحسب. وطالب أيضاً بتجريم (فعل صناع الكراهية حتى بالرأي والقول والفتوى)، ولكننا نجد (الوطن) تخلع رداء اللبرلة وتخضع تحت تأثير الأجواء الطائفية، فتنشر مقالات وكاريكاتورات ذات مغاز طائفية.

وحده الشيخ عبد المحسن العبيكان، المستشار في الديوان الملكي، الذي يسلك منذ سنوات طريقاً تقريبياً ويتبنى مواقف في الاعتدال الديني مشهودة، قال بأن (الرأي الذي خرج به الشيخ العريفي مرفوض تماماً)، ونفى أن يكون كلام العريفي عاكساً أميناً لموقف الملك عبد الله.

المفتي العام الشيخ عبد العزيز آل الشيخ والمعني بصورة مباشرة بتوضيح موقفه من خطبة العريفي، قال في تصريح لصحيفة (الشرق الأوسط) نشر في ٦ يناير الجاري بأن كلام رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي على المؤسسة الدينية في ٤ يناير بأن فيه (مغالطات). وبدلاً من توضيح ملابسات خطبة العريفي، دافع المفتي عن علماء السعودية الذين وصفهم بأنهم (أهل اتزان في ما يقولون وليسوا أهل تكفير أو تبديع، ولكنهم متبعون للكتاب والسنة، فهم يتعاملون مع كل شيء على حسب ما دل عليه الكتاب والسنة). وفي عبارة تنطوي على إقرار ضمني لما قاله العريفي بأن العلماء السعوديين (لا يسعون في تكفير أحد بلا حق)، حيث تلفت (بلا حق) إلى أن ثمة موافقة على تكفير العريفي للشيخ السيستاني. ومع ذلك، فإن المفتي لم يتردد في وصف الدولة السعودية بـ (الاعتدال في أحوالها كلها)، رغم الانتقادات الواسعة التي تعرّضت لها المؤسسة الدينية

تزايد المطالبات الداخلية بتجريم أي فعل أو فتوى أو ممارسة طائفية من أجل منع أي تداعيات خطيرة على السلم الأهلي، وخشية أن يتحول الأمر الى اقتتال داخلي

والدولة السعودية بوصفها الراعية لها بسبب صدور فتاوى التكفير ضد المذاهب الإسلامية السنيّة والشيعية، كما تكشف عن ذلك فتاوى مثبّتة في مواقع كبار العلماء في المؤسسة الدينية، وكذلك بيانات رجال الدين السلفيين التي كانت تصدر تباعاً حتى في أوقات انعقاد مؤتمرات حوارية على مستوى وطني أو إسلامي أو ديني. ومع ذلك يصرّ المفتي آل الشيخ على ضرورة (أن نسعى لما يوحّد الكلمة ويجمع الصف وأن لا نكيل المغالطات للآخرين من دون برهان أو تأكد). واكتفى بتوجيه نصيحة لخطباء الجمع في السعودية لمراعاة (المستويات الفكرية للمصلين، وأن لا يتم التطرق إلى موضوعات فوق المستوى الفكري للمأمومين لأنه لن يحدث فيهم التأثير المطلوب).

وفيما يطالب الرموز الدينية والثقافية الشيعية في المنطقة الشرقية بسن قانون يجرّم النيل من المعتقدات والرموز الدينية، التزم كبار الأمراء الصمت حيال ما جرى، شأن موضوعات أخرى يلوذون بالصمت حيالها، دون أن يعفي أي منهم مسؤولية ما قيل على لسان العريفي، الذي لم يُعاقب ولا حتى يُعاتب، فيما تولى صحافيون محليون مهمة الدفاع عن موقف الحكومة في قضية يدرك القاصي والداني أنها ما كانت تتم لو لم يكن العريفي مطمئناً لعواقب فعله، فلماذا تتم إقالة غيره من المشايخ من مذاهب أخرى صوفية وشيعية واسماعيلية على خلفية خطبة دينية أو احتفال ديني، مع أن بعضها كان يجري في مناطق بعيدة، أو قرى نائية، فهل باء الحكومة تجرُ حين يكون العريفي موجوداً فيها ولا تجر حين يجري تطبيقها على المذاهب الأخرى؟. فهل يصمت الأمراء عن كلام مماثل لو قيل في منطقة أخرى بنفس الألفاظ النابية (فاجر وزنديق)!

كان يتوقع من الملك عبد الله الذي قدّم نفسه راعياً لحوار الأديان والحوار بين علماء المسلمين أن يكون له موقف صارم في هذا الشأن، وهو الذي رعى حوار علماء المسلمين في مكة المكرمة قبل عامين، وتبني خطته العشرية لتعزيز أواصر التضامن الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين وإظهار الصورة الحقيقية للإسلام وقيمه السمحه، بحسب البيان الختامي، كما أكّد على ضرورة مواجهة التطرف الديني والتعصّب المذهبي وعدم تكفير المذاهب الاسلامية، والتأكيد على الحوار بين المذاهب الإسلامية، وتعزيز الاعتدال والوسطية والتسامح، ودحض الفتاوى التي تخرج المسلمين عن قواعد الدين وثوابته وما استقر من مذاهبه.

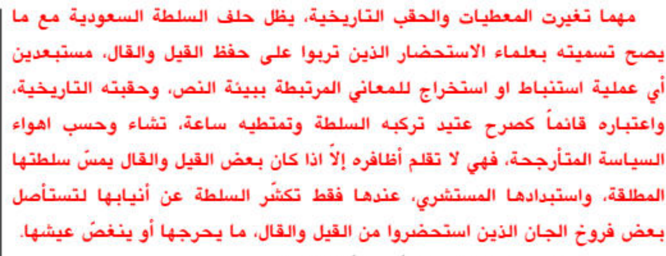
فيما يبدو، لم تكن خطبة العريفي خروجاً عن الخط العام الذي تسلكه الدولة السعودية هذه الأيام، وهي تخوض حرباً في اليمن ضد الحوثيين، وتخوض حرباً شاملة مع إيران في كل مواقع نفوذها سواء في العراق أو لبنان أو حتى فلسطين، ولكن ما لا يجوز إغفاله هو تداعيات مثل هذا الخطاب الطائفي الذي يشارك فيه للأسف بعض المحسوبين على التوجّه الليبرالي، وكأن التطييف بات سمة ثقافية في هذا البلد، بما يسقط كل مزاعم التعايش والحوار والتنوّع، وقد يهدّد السلم الأهلي الهش.

السعودية..

حلف السلطة مع علماء استحضار (الجنّ)!

د. مضاوي الرشيد





مهما تغيرت المعطيات والحقب التاريخية، يظل حلف السلطة السعودية مع ما يصح تسميته بعلماء الاستحضار الذين تربوا على حفظ القيل والقال، مستبعدين أي عملية استنباط او استخراج للمعاني المرتبطة ببيئة النص، وحقبته التاريخية، واعتباره قائماً كصرح عتيد تركبه السلطة وتمتطيه ساعة، تشاء وحسب اهواء السياسة المتأرجحة، فهي لا تقلم أظافره إلاّ اذا كان بعض القيل والقال يمسّ سلطتها المطلقة، واستبدادها المستشري، عندها فقط تكشّر السلطة عن أنيابها لتستأصل بعض فروخ الجان الذين استحضروا من القيل والقال، ما يحرجها أو ينغصّ عيشها.

وما عدا ذلك يظل الحلف قائماً تماماً كما يحصل اليوم على الساحة السعودية، حيث تستغل السلطة علماء الاستحضار في معاركها الطائفية، فيظهر أحدهم ويعتلي منابر الوعظ والخطب، ليستحضر رصيده القيّم من مصطلحات العنف اللغوي، وموسوعته القديمة، واسطوانته المشروخة، ليفسق ويبدّع ويكفّر من يوصف بالزندقة

تلعب السلطة السعودية بالنار عندما تسكت على خطاب الاستحضار الذي يشعل نار الفتنة الطائفية، في سياسة مدروسة لاستثمارها سياسياً واستخدامها ضدّ الخصوم

والعقيدة المغلوطة، والإيمان الفاسد، على خلفية حرب سياسية، وصراع نفوذ بين السعودية وجاراتها من اليمن الى العراق، مروراً بلبنان، وانتهاءً بالمعضلة الكبرى التي واجهتها السعودية منذ عام ١٩٧٩، بعد أن برزت إيران كمنازع على الهيمنة في المنطقة.

ليس بالغريب أو الجديد أن تتنازع الدول على النفوذ السياسي والهيمنة والمواقع الاستراتيجية والموارد الاقتصادية. فالصراع هو سنّة كونية، قد يحلّ بالحرب والقوة تارة، وتارة بالدبلوماسية والحوار والتفاهم على تقاسم النفوذ. ولكن العجيب الغريب في المسار السعودي، هو زج علماء الاستحضار في كل معركة، وفي كل غزوة، سواء كانت إعلامية أو حقيقية. ليس هذا لأن السلطة تعتمد على شرعية دينية، وهي لذلك مضطرة لأن تستخدم علماء الاستحضار عند كل شاردة وواردة.. بل لأنها مفلسة في هذه الشرعية إفلاساً تاماً. لذلك هي مضطرة لأن تزج بهم في كل جولة وصولة، ليعطوها تلك الشرعية المفقودة. منذ زمن بعيد وهي تدرك الدور الكبير الذي يلعبونه في إصباغ خطاب القيل والقال وإسقاطه على متحركات السياسة ورمالها التي تأبى أن تخضع لمنطق واحد أو وتيرة معروفة. خذ مثلاً حرب التحرير الكبيرة الدائرة رحاها في الجنوب الغربي حيث (المجاهدون) (الموحدون) يحمون ثغراً من ثغور الإسلام، فيفرد الجنرال ذراعيه في إيماءة ذكوريّة مفضوحة، ويميط عالم الإستحضار اللثام لينطق بكلمات العنف اللغوي.

ومؤخراً، تخوض المرأة المتلبسة بزي عسكري مزيف غمار المعركة، لتنقل أحداثها ودقائقها، بعد أن احتمت بتمويه البدلة المرقطة.. وكأن طائرات العدو تهدد الساحة من الأعلى، وتسقط قذائفها يميناً ويساراً على الجبهة. هذه الكوميديا الساخرة هي زيف خاضته السلطة وتخوضه حتى هذه اللحظة. وقد ذهب بأرواح أناس كثر، وهجّر من هجّر، وجعل النظام السعودي يسقط في فخ كبير سيجره في المستقبل الى عواقب وخيمة.

السلطة السعودية تسرع لإقالة عالم انتقد سياسة الإختلاط في جامعة جديدة، ولكنها تصمت على خطاب القتل الذي يتردد على شفاه علماء استحضار الجن، والذي يلقى على جمهور محتقن

وليت النظام كان صادقاً مع شعبه عن طبيعة الصراع، وهو بالدرجة الأولى صراع سياسي مهما حاول علماء الاستحضار أن يصبغوا عليه صبغة الحروب العقدية أو الطائفية المقيتة. هو صراع سياسي يمني داخلي بالدرجة الأولى، مهما تدخلت القوى الإقليمية فيه بما فيها إيران والسعودية. ودخول السعودية على الخط لا يمكن أن يكون جهاداً ضد من كانت عقيدتهم فاسدة، أو عبادتهم فاسقة أو شعائرهم متزندقة. ورغم أن الجنرال يحارب بمساعدة عربية

أو ربما باكستانية إلاّ أن علماء الاستحضار (إنتاج محلي عريق وقديم) تم استهلاكه وإعادة صياغته في حقبات تاريخية سابقة. وسيظل سلوك القيل والقال.. الأهمّ، والركيزة الرشيدة لسلطة تترنح في سبيل ايجاد خطاب يسوغ مغامراتها السياسية البحتة، ويجيش عساكرها على ثغور الأمة المزعومة. الكل يعرف أين هو الثغر الحقيقي الذي يحتاج الى التجييش، ولكن مع الأسف، يبدو ان الثغور الميكروسكوبية الجديدة قد تضاعف حجمها بعد عملية تكبير مشوهة.

ستنزل السلطة السعودية ومعها علماء الاستحضار في أرشيف التاريخ كقوة سلبية، ساهمت في تفكيك المجتمعات العربية والسلم الاجتماعي بين المسلمين ذاتهم. تصاعد وتيرة العنف الطائفي وتطبيف السياسي بالشكل القبيح الذي ظهر على منبر خطبة الجمعة، ستكون له أبعاد خطيرة تفتك أول ما تفتك بالداخل السعودي.. عندها سنكون على حافة انهيار كبير، وتمزّق عنيف، وعمليات إبادة جماعية، تجعل من تصفيات البوسنة والهرسك، والهوتسي والتوتسي، ومجازر العراق هوامش صغيرة في تاريخ الصراعات والإبادات الجماعية.

العربي لا يتحرك ولا يتظاهر ولا يحرك ساكناً اليوم إن كانت لقمة عيشه مهددة، أو أرضه محتلة من قبل عدو خارجي، ولكنه مستعد للاستماتة في سبيل الدفاع عن حدود طوائف وفرق

تلعب السلطة السعودية بالنار عندما تسكت على خطاب الاستحضار الذي يشعل نار الفتنة، ورغم أن السلطة تسرع لإقالة عالم انتقد سياسة الاختلاط في جامعة جديدة، نجدها تصمت على خطاب القتل الذي يتردّد على شفاه علماء الاستحضار. بل هذا الصمت هو سياسة مدروسة تتبناها السلطة. فهي من جهة تطلق العنان لمن يريد أن ينفّس عن احتقانه، فيدخل في منافسة مع أقرانه المتخرجين من مدرسته ذاتها، ليزايد هؤلاء على بعضهم البعض، ويكسبون بذلك تصفيق جمهور محتقن هو الآخر. وبين الحين والحين يسقط بعض اللاعبين ليبرز آخرون، وتبقى السلطة تتفرج على هذه الكوميديا المقيتة. وهي وإن أقالت موقظ فتنة في السابق على تبعية تصريح او مقابلة تلفزيونية، فهذا يكون دوماً استجابة لحالة سياسية، ومحاولة لإصابة هدف آني، سرعان ما يزول ويتلاشى، وتعود المسرحية الى فصولها المعروفة.

تمر المنطقة العربية بما فيها السعودية بأسوأ حالة احتقان طائفي وتكتلات على معابر هويات ضيقة، وذلك لعدة أسباب، منها ما هو داخلي وآخر خارجي.

بعد انحدار خطابات سياسية وحدوية سابقة، وبروز السلطات الفئوية القمعية، وربط التنمية الاقتصادية بالولاء وليس المواطنة، بالاضافة الى عمليات التهميش الجماعي لفئات معروفة، ومناطق كبيرة وشاسعة داخل كل دولة، نجد أن المجتمعات الضيقة بمساعدة علماء الاستحضار، وكثيراً بمباركة السلطات، استنفرت واستحضرت هي الأخرى ولاءاتها الطائفية الضيقة التي بدت وكأنها تحميها من الآخر، ومن السلطة، وتوفر لها بعض الضمان الإجتماعي. لقد أصبحت الطائفة - مع الأسف - مجتمعنا المدني المنقوص، وفي بعض المناطق تحولت الدولة الى طائفة تماما كما حدث في السعودية وعند بعض الجيران العرب. هذا التحول الخطير دخل المرحلة الثانية التي نعيشها هذه اللحظة، وهي ترتبط باندلاع العنف الذي بدأ منذ أكثر من عقد في بعض جهات من العالم العربي، وكانت فصوله الدامية قد تبلورت في العراق، ومن ثم انتقلت الى لبنان، والآن تقلّب صفحاته على ثغر الأمّة في جنوب السعودية.

نستطيع أن نجزم اليوم أن العربي لا يتحرك ولا يتظاهر ولا يحرك ساكناً ان كانت لقمة عيشه مهددة، أو أرضه محتلة من قبل عدو خارجي، ولكنه مستعد للاستماتة في سبيل الدفاع عن حدود طوائف وفرق، وبين الحين والحين نجد أن صراع الطوائف الداخلي قد يكون أشرس وأكثر ضراوة، لأنه صراع على من يسيطر على كل كتلة، ومن له الحق أن يمثلها. وهذا الوضع هو حالنا اليوم.

ومع الأسف، لا يبدو هذا وكأنه تطور اجتماعي منعزل، بل لقد كان منذ البدء مرتبطاً بسياسة سلطات قمعية، تصنّف وكأنها دول حديثة. لقد قامت سلطات كثيرة في عالمنا العربي على فئوية وطائفية مقيتة، وضربنا هنا بالسعودية مثلاً للدولة التي تبنّت خطاباً إسلامياً شاملاً، وطبّقت إقصائيّة فجّة، وممارسة تهميشية عمرها طويل. واليوم قد دخلت هذه السلطة مرحلة جديدة، بدأت في الثمانينات أول ما بدأت حيث تبنّت ونمّت شريحة كبيرة من

صراع الطوائف الداخلي أشرس وأكثر ضراوة، قد يفضي في السعودية الى حروب إبادة تتصاغر فيها حروب البوسنة، وحروب التوتسي والهوتو

علماء الإستحضار القادرين على تطييف حروبها السياسية، وصراعها مع الآخرين على مناطق النفوذ والهيمنة. نحن لا ننفي الصراع السياسي والمنافسة من قاموس الشعوب، ولكننا نؤمن بالدبلوماسية أكثر مما نؤمن بالحسم العسكري المستحيل أصلاً وبحقن الطوائف بقيل وقال منتزع من سياقه التاريخي وبيئته السابقة، ومن ثم الصاقه واسقاطه على كل سياسة شاردة أو واردة، وذلك لتثبيت شرعية دينية انقرضت منذ زمن.

أما ما يتردد عن (مجاهدينا الموحدين) وبطولاتهم ضد الزنادقة والمبدعين، أحفاد الطوسي والعلقمي الى آخره... فهو لعب بالنار، وإسقاطات واهية على معارك سياسية بحتة، ليس من مصلحة الجميع أن تتخذ أبعاد الصراع العقدي، والذي قد يفجّر المنطقة بطريقة لن تحتويها خطابات التهدئة والدبلوماسية بعد فوات الأوان. وستحترق بهذه النار السلطة وعلماء الإستحضار معاً. لأن المجتمعات ستستفيق على حقيقة مرّة، وتمويه طويل الأمد، لأنها ستتعب من تبعيات الإنقسام والتحجّر والتقوقع خلف جدران طوائف مهيّجة.

عن: القدس العربي، ٢٠١٠/١/١١

وجوه حجازية

(١)
سليمان مراد
(١٢٩٥ – ١٣٤٣هـ)

تخرج سليمان مراد من المدرسة الصولتية، ودرّس بالمسجد الحرام. تولى القضاء بينبع ثم في الطائف، في عهد الأشراف. كان رحمه الله يسكن بمكة المكرمة في باب العمرة، فلا يفوته فرض في الجماعة، وكان ينزل الى المسجد الحرام في الثلث الأخير من الليل، فيطوف ويتلو كتاب الله الى أن يطلع الفجر، ويدوي المسجد بآذان الفجر، وتقام الصلاة، فيؤديها في خشوع وخضوع. وكان حلقة درسه في حصوة باب العمرة. توفي رحمه الله بالطائف[١].

(٢)
محمد النبهاني
(١٣٠١ـ ١٣٧٠هـ)

هو محمد بن خليفة بن حمد بن موسى النبهاني المكّي. والده من البحرين استقرّ في مكة ومات فيها. ولد محمد بمكة المكرمة ونشأ بها وتلقى عن والده العلم، ثم التحق بالمدرسة الصولتية، وتخرج منها، ثم لازم حلقات المسجد الحرام، فأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن أحمد دهان، والشيخ محمد يوسف خياط. درّس بالمسجد الحرام فعقد حلقة درسه فيه. ثم رحل الى البحرين سنة ١٣٣١هـ، فأقام بها مدة قصيرة، جمع فيها ما تيسر له من تاريخها وسير أمرائها، في كتاب سمّاه (النبذة اللطيفة في الحكام من آل خليفة)، ثم واصل رحلته الى العراق، فنزل البصرة، وعيّن قاضياً فيها. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى اعتقله الإنجليز، وسُلبت منه كتبه وأوراقه، ولما أفرج عنه سنة ١٣٣٤هـ، لم يؤذن له بمغادرة البصرة فظلّ فيها الى أن أدركته المنية بالبصرة رحمه الله.

له: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية؛ مؤنس العرب بتذييل سبائك الذهب في أنساب العرب؛ خلاصة الهيئة النبهانية عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ والأدلة العقلية في إثبات الحركة الشمسية حول الأرض سنوياً ويومياً؛ التذكرة النبهانية في أسماء المخترعات العصرية والإكتشافات الزمانية وتعديل بعض الألفاظ العامية؛ قطف الأزهار في معرفة المعادن والأحجار؛ سلاسل العقيان من أحاديث الشيخ محمد آل نبهان؛ إرشاد السالك في شرح أوضح المسالك نظم العمروسي؛ الملحمة النبهانية: شرح المنظومة الشمقمقية؛ ثمرات الخرائط في رسم الخرائط[٢].

(٣)
عباس قطان
(١٣١٣ـ ١٣٧٠هـ)

عباس يوسف قطان، ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها. تلقى مبادئ القراءة والكتاب في الكتاب، ثم انتقل الى المدرسة الصولتية، وفيها حفظ القرآن الكريم وجوّده، وأخذ الفقه واللغة عن علمائها، ولازم حلقات علماء المسجد الحرام التي كانت تعقد بين العشائين. ومن مشايخه الذين أخذ عنهم: الشيخ سعيد يماني، والسيد المرزوقي، والشيخ عمر باجنيد، والشيخ عمر حمدان المحرسي.

وفي أوائل العهد السعودي، أصبح عضواً في المجلس البلدي بمكة المكرمة، وفي سنة ١٣٤٧هـ عيّن أميناً للعاصمة المقدسة الى نهاية ١٣٦٤هـ، ثم عيّن عضواً في مجلس الشورى، ثم طلب إعفاءه منه وتفرغ للأعمال الخيرية التي كان ينوي القيام بها في مكة المكرمة.

كان الملك عبدالعزيز يكلفه ببعض مهام الأمور في عهد رئاسته لأمانة العاصمة، فحينما انتهت إمارة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم على المدينة كلفه بالسفر الى هناك وتصريف شؤونها الى حين تولي عبدالله السديري إمارتها. كما كان يعهد إليه بالعمل في بعض الأمور التي تطرأ. وكانت داره في مكة المكرمة وفي الطائف أيام الصيف مفتوحة للناس، تغصّ بروادها من أهل العلم والفضل ومن الضيوف الذين كانت تنصب لهم الموائد صباحاً ومساءً. وكانت تستقبل الضيوف من كبار الحجاج في موسم الحج من كل عام.

اشترى رحمه الله مكتبة الشيخ حامد كردي، وكانت من أكبر المكتبات الخاصة بمكة وأثمنها، وبنى لها مقرّا في موضع مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن اخذ الموافقة من الملك، وذلك في عام ١٣٧٠. فأشرف على البناء بنفسه، وفي نفس العام توفي رحمه الله، وتولى أبناؤه إكمال المبنى، ونقلت المكتبة اليه، وسميت (مكتبة مكة). وقيل أنه حصل على موافقة الملك في إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم في موقع دار السيدة خديجة رضي الله عنها، والتي سميت أخيراً مولد السيد فاطمة الزهراء رضي الله عنها في سنة ١٣٦٨هـ، فأكمل بناء المدرسة أبناؤه بعد وفاته وسلمت المدرسة الى وزارة المعارف[٣].

(١) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ١١٧. حسن عبدالحي قزاز، أهل الحجاز في عبقهم التاريخي، ص ٢٧٤.
(٢) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢٧٥. خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ ٦، ص ٣٥١. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ٩، ص ٢٨٧. محمد خليفة النبهاني، التحفة النبهانية، ط٢، ص ٢–٥، جـ٢، ص ٤٠١، أم القرى، ١٣٤٩/٤/١٢هـ. معجم الكتاب والمؤلفين، جـ١، ص ١٤٤، ط٢. أحمد سعيد ابن سلم، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، جـ٣، ص ٢٥٧.
(٣) محمد علي المغربي، أعلام الحجاز، جـ١، ص ٧٧.

نحن على الحقّ..

لا بدّ وأن ننتصر!

(قال الله تعالى: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم".. ونحن نصرنا الله، ما في ذلك من شك، نحن أهل التوحيد، نحن حماة الحرمين.. لذا لا شكّ عند أي موحّد أننا منتصرون، وأن عدونا الكافر هالك لا محالة. هذا وعد الله، أن ينصر أهل الحق. ولكن الروافض والعلمانيين والنصارى وغيرهم يشككون في جيش التوحيد، في إيمانه وعقيدته، وفي قدرته التي ضاعفها الإيمان بالله وبملائكته ورسله واليوم الآخر. أنصح إخواني، أن لا يلقوا بالاً الى إعلام المرجفين، والحاقدين، وأن لا ينتابهم أيّ يأس من حقيقة أن وعد الله لنا بالنصر قادم. كما أنصحهم بأن لا يستمعوا لإعلام الحوثيين عبدة المجوس، الذي هو كله أكاذيب وأباطيل يستخدم الوسائل العصرية لترويج أكاذيب عن القتال في الجبهة. كلكم تعلمون أننا قتلنا الآلاف من أولئك الروافض المجوس، واعتقلت قواتنا - ولله الحمد والمنّة - المئات إن لم يكن الآلاف منهم.. هؤلاء الحوثيون عملاء المجوس في قم يلفظون أنفاسهم الأخيرة، وقد طهّرنا أرض التوحيد من دنسهم).

هذا مقطع من إجابة للشيخ الوهابي محمد المزوي الزهراني في ندوة حول الحوثيين على سؤال: هناك من يشكك في انتصار جيش المملكة، وما هو الموقف الشرعي من المشككين؟!

لا يحتاج ما يجري على جبهات القتال الى جهد كبير لمعرفة اتجاه سير المعارك، ومن المتفوّق فيها. ولا يحتاج الى جهد لإدراك حقيقة أن الجيش السعودي قدّم أداءً بائساً في الحرب ولايزال، الى حدّ اضطراره الى استخدام القوات اليمنية، ضناً على جنود التوحيد من القتل!

بيد أن المشكلة الأساس تكمن في المتلقّي الوهابي لنتائج المعارك، فالأدلجة العقدية الطائفية، لا تسمح للعقل الوهابي أن يصدّق أنه مهزوم، فيتصوّر أن هزيمة الجيش السعودي، تعني صحّة عقيدة المنتصر، وبطلان عقيدة الوهابي. أي أن ما يجري هو مجرد حرب (عقائد) وليس حرب سلاح وجيوش، وأن العقائد الأصفى هي التي تنتصر، ولا يوجد بالنسبة للوهابية عقيدة أصفى وأنقى وأصحّ من عقيدته. لهذا، فهو يشكك فيما يراه، ولا يستطيع أن يحكّم عقله، ويرى أن كل ما ينشره الآخر المختلف وليس بالضرورة العدو، باطل وكذب ودعاية؛ وبعكس ذلك ما ينشره الإعلام السعودي واليمني، فهو صحيح أياً كان ما يقال ويزعم، مثل أن عبدالملك الحوثي قتل! فهذا الرجل الأخير ظهر على القنوات وعلى المواقع بصوته يعلن كذب النظامين اليمني والسعودي اللذين قتلاه (سبع مرّات) خلال السنة الماضية فقط.. ومع هذا لازال الوهابي الأصلي! يعتقد أن الرجل شبع موتاً، فكيف به ينتصر!

والتحليل العقدي للمعارك لا يقف عند هذا الحدّ، فالوهابي، وهذا يشمل معظم النجديين الذين يحكمون السعودية، اعتاد ان يرى اليمني بحالة دونيّة: فهو بالنسبة اليهم، فقير، وتافه، وضعيف، ومتخلف عقلياً وذهنياً وتعليمياً ومعاشياً وغير ذلك. مثل هذا اليمني بظنّهم لا يمكن أن يحقق نصراً يكسر استعلاء الوهابي النجدي وانتفاخه الكاذب، خاصة وأن الجيش السعودي مسلح من رأسه حتى أخمص قدميه بأسلحة الأميركان، وهو شجاع لا يخاف الموت ويقبل على الشهادة!! إن هذا لا يمكن أن يتقبله عقل الوهابي النجدي، بل يرفض حقيقة أن ينتصر في الحرب أحدٌ سواه!

وتمثّل الفرقة الناجية (الوهابية هنا) طافح في الأدبيات الدينية: فجيش آل سعود هو جيش الإسلام، المدعوم من السماء، فكيف لا ينتصر على حفنة ضالة كافرة مدعومة من المشركين الكفرة في قم وطهران؟! لا بدّ أن جثث جنود الباطل كثيرة، لأن ملائكة السماء وبركاتها تحارب مع جيش التوحيد الوهابي، ولا بدّ أن الله يحافظ على الجنود السعوديين الى أقصى حد! لذا من السهولة بمكان أن تنطلي على الجمهور أكاذيب مشايخ الوهابية الذين استدعوا الى الجبهة لتحريض المؤمنين الوهابيين على القتال ضد المشركين الحوثيين العملاء! لا بدّ - كما قال أولئك الكاذبون - أن تكون روائح جثث الحوثيين الفاسدة تصل الى عشرات الكيلومترات يشمها الجيش السعودي نفسه؛ ولا بد - وهنا يقسم الشيخ العريفي - أن تفوح روائح الجنود الشهداء بعطور لم يشمّها أحد أروع منها من قبل، فتغطي الأصقاع ويتناقل أخبارها الركبان!

معظم السعوديين من غير الوهابيين النجديين يتساءلون عن مصير الحرب، ولماذا لم تحسم، ولماذا احتل الحوثيون مواقع سعودية جديدة، وهل خسرنا الحرب، وهل أخطأنا في دخول الحرب أو جرّنا اليها علي صالح؟ أما الوهابي النجدي اللصيق بالنظام وبمشايخ الوهابية فلا يسأل هذه الأسئلة، ولديه من القدرة على تضليل الذات ما يجعله مبدعاً حقاً في تخيّل المعركة وظروفها وافتعال التبريرات لتأخّر النصر السعودي، أو هو حتى لم يتأخّر، فقد اندحر الحوثيون وقتلوا ولم يتبق إلا الفلول البائسة!

النصر والإسلام والشهادة والوطنية والشجاعة والوعد والنصر الإلهيين (اللذان سخر الوهابيون من حسن نصر الله حين استخدمهما بحقّ بعد انتهاء الحرب مع الصهاينة في حرب ٢٠٠٦) يعاد استخدامهما بالباطل على جبهات الحرب ضد الحوثيين الزيود (مع إصرار على أنهم ليسوا زيود ولكن إثني عشرية، لأن الوهابية تعتقد بأن تصنيفهم في هذه الخانة تجيز لها قتلهم باعتبارهم كفرة خارجين على ملّة الإسلام)!

الإستعلاء المهزوم تمثّل أخيراً في إلقاء الطائرات السعودية منشورات (ضمن الحرب النفسية) على قرى صعدة بعضها حمل شعار العلم السعودي، مع الشهادتين! أي أن آل سعود وجيشهم على حقّ والآخر على باطل وهو كافر! مع إضافة هذه الجملة: (أخي ابن اليمن: إن قيادة وشعب المملكة لا تريد بكم الأذى، وغايتها أن تعيشوا بسلام، ولسنا أعداءكم)! مثل هذا بالضبط مع تغيير في الجهة هو ما ألقت به اسرائيل من منشورات على القرى والمدن اللبنانية بما فيها بيروت!

وفي منشور استعلائي آخر، جاء التالي: (إن ما تقومون به من حرب لا يرضي الله خالقكم ولا رسوله الكريم)! فالوهابية المكفراتية تصدر هنا فتاوى، وتحسب أن جمهور الزيدية الذين تصب الطائرات السعودية حمماً على رؤوسهم هم جمهورها المستمع!







(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسربت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حياه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).



(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد. وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).



من يتآمر على الآخر؟!

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة)، وبحسب الصحيفة فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّةَ!

لم يتبق إلا القليل من مكةَ.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى



مفتاح الكعبة المشرفة (٥٥٥هـ / ١١٦٠م)